# شرح حزب البر

للشيخ العلامة والبحر الفهامة، قطب المهتدين وإمام الواصلين
العارف بالله تعالى

## عبد الرحمن بن محمد الفاسي

أنزل الله عليه سحائب الرضا

••••

وهو شرح وتعليق على
حزب البر المعروف بالحزب الكبير
للسيد القطب الرباني الشهير والإمام الوارث المحمدى الكبير

## أبي الحسن الشاذلي

رضى الله عنه وارضاه، وعمتنا بركاته، وشملتنا نفحاته

••••

ومقدمـــــة
لحضرة صاحب الفضيلة العارف بالله تعالى **الدكتور عبد الحليم محمود**
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
بارك الله فى علمه، وزاده من نوره، ونفع به
راجع الشرح وذيله وكتب مقدمة عن «الأحزاب والأوراد وهذا الحزب»
**محمد عطية خميس**
عفا الله عنه وغفر له

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف ت : ٥١٢٠٨٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

صدق الله العظيم

# مقدمة

**لحضرة صاحب الفضيلة العارف بالله تعالى**

المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود

**الأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية**

**بارك الله في علمه، وزاده من فضله، ونفع به**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين.

يقول الله تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(١).

وأخرج الإمام البخارى فى صحيحه الحديث القدسى التالى:

**«من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب».**

وماتقرب إلىَّ عبدى بشىء، أحب إلىَّ من أداء ما افترضته عليه.

ولايزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها.

وإن سألنى أعطيته ولئن استعاذ بى لأعيذنه..».

والتقرب إلى الله بالإكثار من النوافل الذى تكون ثمرته حب الله سبحانه لعبده، يبدأ فى الوضع الطبيعى بنوافل الركن الأول من أركان الإسلام وهو: «**أشهد أن لا إله إلا الله**» إنما هى: الذكر والدعاء.

ونوافل أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله إنما هى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والذكر إذاً والدعاء يمثلان أساساً من أهم الأسس فى الطريق إلى الله

---

(١) سورة يونس من آية ٦٢ : ٦٤.

سبحانه، ومن أجل ذلك كانت الآثار الكثيرة التى تبين هذه الأهمية. يقول سبحانه :

﴿ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾(١).

ويقول سبحانه فى أسلوب كريم رحيم.

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴾(٢).

وأمر الله بكثرة الذكر صريحا فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾(٣).

ويبين الله سبحانه وتعالى بعد هذا الأمر مباشرة أنه سبحانه يواليـنا بوده الكريم وبرأفته الرحيمة وبفضله المتوالى فيقول :

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾(٤).

وكأن الله سبحانه وتعالى بذلك ينبهنا إلي أن أدنى درجات العرفان بالجميل توجب علينا أن نقابل وده ورأفته ورحمته التى تتمثل فى صلاته علينا من أجل إخراجنا من الظلمات إلى النور.... إن أقل ماينبغى هو أن نذكره سبحانه وأن نكون على صلة دائمة به. وبين الله سبحانه وتعالى أن أصحاب العقول المستنيرة إنما هم الذين يجمعون بين الذكر والدعاء. فيذكرون الله فى كل أوقاتهم ويدعونه فى كل مناسبة، وموقفهم منه موقف المتبتل الخاشع الذاكر الداعى.

---

(١) سورة العنكبوت : ٤٥ بعضا منها.
(٢) سورة البقرة : ١٥٢.
(٣) الأحزاب : ٤١ - ٤٢.
(٤) الأحزاب : ٤٣، ٤٤.

يقول سبحانه :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[١].

والذكر طمأنينة للقلب :

﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[٢].

ويأمر الله أمرًا صريحاً بالصلاة على رسوله ﷺ فيقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٣]. والصلاة على رسول الله ﷺ ذكر من أجمل أنواع الذكر.

وفى الدعاء يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[٤].

---

(١) سورة آل عمران من ١٩٠ – ١٩٤ .
(٢) سورة الرعد : ٢٨ .
(٣) سورة الأحزاب : ٥٦ .
(٤) سورة البقرة : ١٨٦ .

وقال تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(١).

وقال تعالى :

﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(٢).

وقال تعالى :

﴿ وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾(٣).

وقال سبحانه :

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٤).

ولقد استفاض رسول الله ﷺ في الحديث عن الذكر وعن الدعاء فكان مما قال في الذكر :

فقد أخرج الإمام البخاري، رضى الله عنه، من حديث قتادة، عن رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربه قال :

---

(١) سورة غافر : ٦٠ .

(٢) سورة النمل : ٦٢ .

(٣) سورة النساء : ٣٢ .

(٤) سورة الأعراف : ٥٥ - ٥٦ .

قال الله عز وجل : «يا ابن آدم، إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منه، وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا، وإن دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا، وإن أتيتني تمشي أتيتك هرولة».

ومن السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لاظل إلا ظله :
«رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله».

وروى البيهقي في شعب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب : قال الله عز وجل:
«من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين».

وقال رسول الله ﷺ، فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة :
«ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

يقول الله : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إليَّ شبرا تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[١].

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

«قال الله جل ذكره. لايذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي ولايذكرني في ملأ إلا ذكرته في الملأ الأعلى»[٢].

---

(١) رواه البخاري ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ورواه أحمد نحوه بإسناد صحيح، وزاد في آخره قال قتادة «والله أسرع بالمغفرة».
(٢) رواه الطبري بإسناد حسن.

وعن عبد الله بن بُسر رضى الله عنه، أن رجلا قال: يارسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علىَّ فأخبرنى بشىء أتشبث به، قال:

«لايزال لسانك رطبا من ذكر الله»(١).

ولقد روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«من صلى علىَّ صلاة، صلى الله عليه بها عشرا»

وعن ابن مسعود رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىَّ صلاة».

وعن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«البخيل من ذُكرت عنده فلم يصل علىَّ»

وكان مما قال فى الدعاء:

عن أبى هريرة رضى الله عنه - فيما أخرجه الإمام أحمد، والترمذى - عن النبى ﷺ قال: «ليس شىء أكرم على الله من الدعاء».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض».

وعن النعمان بن بشير، رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٢).

---

(١) رواه الترمذى، واللفظ له، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

(٢) رواه أبو داود والترمذى، وقال حديث صحيح.

ورُوى عن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء مُخّ العبادة» رواه الترمذى.

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه. أن رسول الله ﷺ قال:
«ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله تعالى إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم» فقال رجل من القوم: «إذن نكثر» قال: «الله أكثر» رواه الترمذى، والحاكم.

وعن أبى هريرة، رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

«ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل فى مسألة إلا أعطاها إياه. إما أن يعجلها له، وإما أن يدخرها له فى الآخرة»[١].

ومن أجل ذلك يقول الإمام القشيرى، معبرا عن رأى الصوفية جميعا:

«والذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة فى هذا الطريق، ولايصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر».

ويقول الإمام القشيرى أيضاً معبرا عن رأى الصوفية جميعا.

«ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله فيه: إما فرضا، وإما ندبا، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات، فقد لاتجوز فى بعض الأوقات، والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات» اهـ

ولذلك كان الذكر وكان الدعاء من أول مايتوجه إليه الصوفية، ويوجهون المريدين إليه.

لقد جرب الصوفية فضل الذكر، وجربوا فضل الدعاء، فاتجهوا اتجاها قويا إليهما: إنهم يتفيأون فيهما الظلال، ويستروحون فى رياضهما

(١) رواه أحمد رضى الله عنه.

ويتنسمون فيهما ريح الجنة.

ولقد اتخذوا الذكر والدعاء شعارا ودثارا، واتخذوهما رياضة وارتياضا واتخذوهما أورادا وأحزابا.

وتفننوا فيهما ملهمين ومستبصرين، وألفوا فيهما على أساس من نور الله ومن هديه، واشتهرت لهم فى ذلك أحزاب، وأوراد معينة جميلة موفقة، رائقة مشرقة، لها أريج العطر وعبير الزهور.

ومن أشهر ماعرف من ذلك أحزاب الإمام الكبير والقطب الغوث الفرد الشهير: أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه، وأرضاه، وأنزله من درجات القرب والرضا بمقعد صدق، وأناله من الثواب على ماقدم من خير وما حقق من عبودية، ماهو أهل به وله، ومايتناسب مع الكرم الإلهى.

لقد حقق أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه العبودية إلى درجة نادرة، ووفقه الله فى ذلك إلى مايعز على من رامه إلا بتوفيق من الله.

لقد أسهر ليله، وصام نهاره، وانغمس فى مقام الفناء فى الله، فكان قيامه به سبحانه وأعماله خالصة لوجهه الكريم، وحياته تركزت فى الدعوة إليه سبحانه.

دعوة إليه بسلوكه، ودعوة إليه بقوله، ودعوة إليه بحاله.

لقد جاهد نفسه حتى تزكت وامتلك أمر هواه، فجعله تابعا لما جاء به رسول الله ﷺ، وسيطر على نفسه حتى قادها إلى أن تكون راضية مرضية مطمئنة، مسترسلة مع الله سبحانه على مايحب، وعلى مايريد.

ولقد ألف أحزابه بعد أن وصل إلى درجة القرب من الله، فهى أحزاب عليها طابع الإلهام، وفيها سمة البصيرة، استمدها بتوفيق من الله وبتوجيه منه واستلهمها من الكتاب الكريم، ومن سنة الرسول صاحب الخلق العظيم، فكانت مجموعة من الأنوار تتسم بالعبودية فى أجمل

صورة من صور العبودية. إنها تضرع وتبتل وخشية، وهى توبة وإنابة والتجاء إلى الله فى طلب المغفرة والعون.

ومن أجل هذه السمات التى اتسمت بها، سارت مسير الشمس شرقا وغربا يحفظها الموفقون ويتلوها المريدون.

وكان لأسلوبها الجميل الفصيح الجزل، ولمعانيها الرائقة الصافية الوضاءة ولجوها اللألاء أثر كبير فى ذيوعها وانتشارها.

وإن من أجمل هذه الأحزاب واسماها - وكلها جميل سامٍ - حزب البر الذى قال عنه الإمام الشاذلى: من قرأ حزبنا فله مالنا وعليه ماعلينا.

ولقد فتن هذا الحزب بأنواره الفياضة كثرة كثيرة من ذوى الأرواح الطاهرة فتناولوه بالتلاوة والتأمل، واستجابوا لما فيه من مواعظ وتوجيهات، واستعملوا بعض أدعيته كلما وجدوا المناسبة.

وشرحه كثير من العلماء، القدماء منهم والمحدثون، منهم الفيروزابادى، ومنهم العارف بالله الشيخ الشبراوى.

واتسمت شروح هذا الحزب المبارك بالتوفيق، وبدا عليها إشراقة النور، وكان لشرح الشيخ الفاسى مكانة مرموقة بين هذه الشروح، ولا عجب فى ذلك فإنه رضى الله عنه سلك الطريق الشاذلى، فوصل فيه إلى القمة علما وعملا، وأثمرت معالجته للطريق فى الجانب السلوكى بصيرة ونورا فأخذ يدعو إلى الله على بصيرة وكرس حياته لتكون فى سبيل الله، وكان هذا الشرح من ثمار النور، وكان مواصلة للدعوة وامتدادا لها، حتى بعد أن انتقل صاحبها إلى رضوان الله.

ولقد كان من توفيق الله تعالى أن قام على تحقيق هذا الشرح، والتعليق عليه وتقديمه للطبع الأخ الفاضل، العالم الصالح، الأستاذ عطية خميس.

والأستاذ عطية خميس، له مجاله الكبير فى الدعوة الإسلامية، فى صورتها السليمة الصادقة .

يعرف منه ذلك كل المتصلين به، فهو لايدع فرصة فى سبيل الخير والحق إلا وسارع إلى تحقيقها، وهو دائم البحث والدراسة فى أمهات الكتب الدينية .

ويعرفه أصدقاؤه دقيقا فى أبحاثه، دقيقا فى آرائه، مترويا فى كل مايقول، وفى كل مايعمل، فجزاه الله عن الجهاد فى سبيل الدعوة خير الجزاء .

ولقد كان من توفيق الله أن يتعاون الرجل الصالح، والتاجر الصدوق السيد عبد الوهاب مصطفى ميتكيس، مع الأخ عطية خميس فى العمل على إظهار هذا الكتاب إلى عالم النور، فى صورة موفقة إن شاء الله .

والله نرجو أن يوفقهما دائما إلى صالح الأعمال، وأن يحقق على أيديهما بالعلم والمال - بعض المشاريع الدينية الكبرى .

وصلى الله على سيدنا محمد الذى يرتشف من بحاره كل ظمآن، ويهتدى بنبراسه كل حيران الذى أعطاه الله جوامع الكلم، وبعثه ليتمم مكارم الأخلاق وأرسله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين، وسلم .

عبد الحليم محمود

**بحث وتقديم :**

## حول الأوراد والأحزاب

### وهذا الحزب... وهذا الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، إذا أحب عبدًا أكرمه بذكره وعبادته وطاعته، وإذا أبغض عبدًا شغله بالدنيا، فانصرف عن ذكره وعبادته وطاعته.. له الحمد سبحانه، هدانا إلى طريقه القويم، وصراطه المستقيم فنادانا تفضلا منه وكرمًا ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾.

والصلاة والسلام على أول خلق الله وخاتم رسل الله، سيدنا محمد، الرسول المجتبى، والحبيب المصطفى، أفضل من دعا على بصيرة إلى الله، وعلى آله وصحبه الذين مهدوا طريق السلوك، لكل من أراد لقاء مولاه.

* * *

**بداية قصتنا مع «حزب البر»:**

منذ سنوات، كنت جالساً مع الأخ الصالح التقى، التاجر المؤمن الصادق السيد / عبدِ الوهاب مصطفى ميتكيس، وروى لى أنه رأى فى نومه السيد الولى الصالح العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب حسنين الحصافى رضى الله عنه، فطلب منه - أى الأخ الكريم - كتاباً، فأشار الشيخ إلى مكتب عليه مجموعة كتب، فأخذ أخونا نسخة منها، فإذا به يجد مكتوباً على غلافه بحروف مضيئة (أقرب المسالك) ففتح غلاف الكتاب فإذا به يجد فى أول الكتاب سفينة[1] ثم مجموعة أحزاب منها حزب البر وحزب البحر.

فعقد أخى العزم على طبع كتاب يحوى هذه الأحزاب الثلاثة، يوزعه ابتغاء مرضاة الله، وتحملت شرف الإشراف على تنظيم وإخراج وطبع هذا الكتاب، ورأيت ألا أقتصر على طبع هذه الأحزاب وحدها، ولكننى - زيادة فى التعريف بهذه الأحزاب - قدمت ترجمة موجزة لصاحبى هذه الأحزاب، وأوضحت فضائل هذه الأحزاب وبركتها.

وبينما كنت أفكر فى عنوان لهذه المجموعة، زرت الأخ الكريم فروى لى أنه رأى فى منامه بساطاً مطويًّا ملفوفاً، فأخذ يشده ليبسطه، وكلما شده، كلما امتد معه البساط وكأنه لا نهاية له.. وإذا به يرى - وهو على هذه الحال - الولى الصالح العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب حسنين الحصافى ينظر إليه، ويقول له «كلما شددت البساط سيمتد معك».

وعلى الفور، خطر لى أن أعنون المجموعة التى أعددتها بـ«بساط الخير والرجا فى فضائل حزب البر وحزب البحر وسفينة النجا لمن إلى الله التجا».

---

(١) سفينة النجا هى الوظيفة الزروقية للشيخ أحمد زروق رضى الله عنه.

وخرج الكتاب من المطبعة، وتلقفه الأحباب، وأقبل الكثيرون على تلاوة هذه الأحزاب.. حتى اضطررنا بعد هذا إلى إعادة طبع هذه الأحزاب وحدها ثلاث مرات تحت عنوان «أقرب المسالك : حزب البر وحزب البحر وسفينة النجا لمن إلي الله التجا».. وهكذا بدا الأمر أنه فعلا «بساط» يمتد وينتشر. وأقبل عليه الكثيرون ليستروحوا فى رحابه.

* * *

وفى مسجد مولانا الإمام الحسين رضى الله عنه، يواظب بعض «الفقراء» أى المتصوفين، بعد صلاة الفجر، على مطالعة «حزب البر» وكثيراً ما أجلس معهم أردد هذا الحزب.

وفى يوم رحت ألتمس شرحا لهذا الحزب الكبير، حتى أقف على كثير من معانيه العالية المشرقة، وبالرغم من أن أكثر من كتاب قد ألف فى شرح هذا الحزب[1]، إلا أننى لم أعثر على شرح واحد، لا فى دار الكتب، ولا فى المكتبات العامة. فعزمت على أن أقدم بنفسى على شرح هذا الحزب ودراسته، وأقدمت على هذه الخطوة بجرأة، ولكن كنت فى نفس الوقت هيَّاباً بالنسبة لها.

وأراد الله عز وجل، أن ييسر لى الأمر ويخفف عنى العبء، فحمل إلىَّ واحد من إخوانى شرحين لهذا الحزب أحدهما شرح الشيخ عبد الرحمن الفاسى رضى الله عنه والآخر شرح الشيخ مرتضى الزبيدى صاحب القاموس رضى الله عنه.

---

(١) شرح هذا الحزب عبد النور العمرانى والبنانى، فكل منهما وضع كتابا باسم «شرح الحزب الكبير» وللشيخ أحمد زروق «مفاتيح العز والنصر بشرح حزب البر والبحر» وللشيخ محمد البهى المصرى كتاب مخطوط «التحفة البهية والدرة النقية» وللشيخ عمر الشبراوى «تنوير الصدر بشرح حزب البر» وللشيخ أبى المحاسن القاوقجى «البدر المنير بشرح الحزب الكبير» طبعة سنة ١٣٠٥ هـ- وللسيد مرتضى الحسينى الزبيدى شارح القاموس «تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير».

فما أن قرأت شرح الفاسى، حتى عزمت على طبعه ونشره، مذيلا ببعض التعليقات والإيضاحات، وها هو ذا أقدمه للقراء الأفاضل، حتى يعرف الأحباب الشاذليون وغير الشاذليين، جواهر الدعوات التى تحملها كلمات وعبارات هذا الحزب، وحتى ينهل قراء هذا الحزب دروسه العالية، فتكون ماثلة فى أفئدتهم وهم يقرأونه، وتكون مناراً لهم فى سلوكهم وحياتهم.

* * *

**شرعية الأحزاب والأوراد :**

وقد يتساءل البعض.. هل للأحزاب والأوراد سند من الشرع الحنيف؟ هل كانت موجودة على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد صحابته؟ وإن لم تكن موجودة فى عهودهم فكيف نجيزها وندعو لها؟

هذا اعتراض يثيره كثيراً خصوم التصوف.. ولذا رأينا أن نعرض فى هذه المقدمة لبحث شرعية الأحزاب والأوراد.

**أحزاب القرآن وأوراده :**

من المأثور عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يحزِّبون القرآن الكريم، أى يقرأونه أحزاباً. فقد روى فى حديث متفق عليه أن النبى ﷺ أمر عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن يختم القرآن فى كل سبع - وكان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يختمون القرآن فى كل جمعة، كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأُبى بن كعب رضى الله عنهم.

ووردت أحاديث كثيرة فى اتخاذ بعض الآيات الكريمة وبعض السور أوراداً فى أوقات مختلفة فقد وردت الأحاديث الكثيرة فى فضل قراءة آية الكرسى بعد الصلوات.. وعند النوم...

ووردت أحاديث تحث على اتخاذ بعض السور والآيات أوراداً يومية، كسورة يس كل صباح وكل مساء... وسورة الواقعة كل ليلة.. وخواتيم

سورتى البقرة والكهف قبل النوم.

ووردت أحاديث تحث على اتخاذ بعض السور أوراداً أسبوعية، كسورة الدخان ليلة الجمعة... وسورة الكهف ليلة الجمعة أو يومها.

**أوراد نبوية:**

وفى السنة الشريفة أوراد عديدة، ومن يراجع كتب الأذكار، وأبواب الدعاء يجد أن النبى ﷺ كانت له دعوات مأثورة... حين يستيقظ من نومه وقبل صلواته.. وبعد صلواته.. وحين يسعى إلى المسجد.. وحين يدخل المسجد.. وهكذا كانت له ﷺ دعوات، يمكن أن نسميها أورادا نبوية.

وكثيرا ما شكا إليه بعض المسلمين من أمور كانت تعترضهم، فكان ﷺ يلقنهم أذكارا ودعوات معينة، وطلب منهم أن يواظبوا عليها. كالرجل الذى شكا إليه الفقر، فقال له ﷺ... إذا دخلت إلى منزلك فسلم، إن كان فيه أحد أو لم يكن فيه أحد، ثم صل وسلم علىَّ، واقرأ قل هو الله أحد مرة، ففعل الرجل مدة فأدرَّ الله عليه الرزق حتى أفاء على جيرانه.

**أوراد للصحابة:**

وكان الكثيرون من الصحابة رضوان الله عليهم يتخذون أورادا لهم.. إما بدعوات خاصة لقنها لهم رسول الله ﷺ، فواظبوا عليها، كالدعاء الذى علمه رسول الله ﷺ للسيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها وكالدعاء الذى علمه الرسول ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه... وإما بدعوات ألهمها بعض الصحابة رضوان الله عليهم، كدعاء أبى ذر رضى الله عنه «اللهم إنى أسألك إيماناً دائماً...» وهو دعاء خاتمة الفرج الذى تضمنه حزب البر، والذى أشير إليه فى هذا الشرح.. وكدعاء أبى الدرداء رضى الله عنه..

**أحزاب وأوراد العارفين :**

وما أحزاب وأوراد العارفين إلا مجموعة أذكار وأدعية.. وقد حث القرآن الكريم فى كثير من آياته على ذكر الله وعلى الدعاء.. وكذلك حث رسول الله ﷺ فى كثير من أحاديثه الشريفة على الإكثار من ذكر الله تعالى ودعائه وسؤاله والابتهال إليه. والأحزاب والأوراد ماهى إلا أذكاراً ودعوات.

يقول صاحب المفاخر العلية :

«اعلم أن حقيقة الحزب هو الورد الوارد المعمول به تعبداً ونحوه. وهو فى الاصطلاح مجموع أذكار وأدعية.وتوجيهات وضعت للذكر والتذكر والتعوذ من الشر وطلب الخير واستنتاج المعارف وحصول العلم مع جمع القلب على الله ولم تكن فى الصدر الأول ولا من بعدهم بقليل، لكن جرت على أيدى المشايخ الصوفية وصالحى الأمة بحكم التصرف والنظر السديد...»

ونضيف أن الجو الإسلامى كان مسيطراً على الناس، وكانت القلوب تفيض بالإيمان، وكان اللسان العربى شائعاً، يؤدى عن القلب إحساساته مع المحفوظ بالتوارث من الدعاء النبوى وتوجيهات الصحابة والتابعين.. وهى كلها أصول الأحزاب والأوراد.

ويقول الشيخ الإمام الصالح أحمد بن زروق فى كتابه قواعد التصوف تحت القاعدة رقم ١٠٨ :

«بساط الشريعة قاض بجواز الأخذ بما اتضح معناه من الأذكار والأدعية وإن لم يصح رواية، كما نبه عليه ابن العربى فى السراج وغيره.

«وجاءت أحاديث فى تأثير الدعاء الجارى على لسان العبد والمنبعث من همته حتى أدخل مالك رحمه الله فى موطئه فى باب دعائه عليه

السلام قول أبي الدرداء «نامت العيون وهدأت الجفون ولم يبق إلا أنت يا حي ياقيوم» وقال عليه السلام للذى دعا بـ«إنى أسألك بأنك الله الأحد الصمد» الخ . . . لقد دعوت الله باسمه الأعظم.

وكذا قال للذى دعا بـ«ياودود ياودود ، ياذا العرش المجيد» إلى غير ذلك.

فدل على أن كل واضح فى معناه ، مستحسن فى ذاته يحسن الأخذ به ، سيما إذا استند به لأصل شرعى ، كرؤيا صالحة ، أو إلهام ثابت المزية كأحزاب الشاذلى والنووى ونحوهما.

«وفى أحزاب ابن سبعين كثير من المبهمات والموهمات فوجب التجنب جملة كمحل الحظر ، إلا لعالم يعتبر المعنى فلا يتقيد باللفظ فيه.

«والوظائف المجموعة من الحديث ، أكمل أمرا ، إذ لا زيادة فيها ، سوى الجمع ، سيما إن أخذت من المشايخ.

«وجل أحزاب الشاذلى – عند التفصيل والنظر التام للعالم بالأحاديث من ذلك والله أعلم»

انتهى ماقاله الشيخ أحمد زروق رضى الله عنه.

إذاً . . فللأحزاب والأوراد سندها الشرعى فهى تدخل فى باب الذكر والدعاء.

وقد كتب فضيلة الأخ الكبير الجليل ، رائد الدعوة الصوفية ، والعالم العابد الولى الصالح التقى الأستاذ الشيخ محمد زكى إبراهيم بحثا قيما عن أهل الذكر فساق استدلالا على شرعية الأحزاب والأوراد كالأمور الآتية[١] .

---

(١) مجلة المسلم ، عدد جمادى الآخرة ١٣٨٨ ، العدد ١١ – السنة ١٨ .

**(الأول)** : أن النبى سمع بأذنه من يدعو بغير المأثور عنه، ثم لم ينكر عليه، لا تصريحا ولا تلويحا، لا بالعبارة ولا بالإشارة فالإنكار اليوم على ذلك بدعة مستقبحة.

**(الثانى)** : أن النبى أقر هذا الاجتهاد فى الدعاء وحبذه بثنائه وكافأ عليه، وبذلك ندب أو أباح على الأقل الاجتهاد فى الدعاء بنحو الأحزاب والأوراد وجعله سنة إقرارية، أخذ بها الصحابة والتابعون، وخاصة السلف رضى الله عنهم.

**(الثالث)** : إنه بناء على ذلك يجوز لمن يستطيع ولمن لايستطيع التعبد بالمأثور أن يتعبد بغير المأثور من أوراد وأحزاب ومدائح وموالد وغيرها من مؤلفات الصالحين، منظومة ومنثورة، وهو موقن مطمئن متأكد-بإذن الله- من الصواب والثواب.

ثم إنه لابأس على العالم بالمأثور أن يضيف إليه ماشاء من غيره، جمعاً بين الأفضل والفاضل، وقد التزم كثير من سادتنا البدء بالمأثور ثم التعقيب عليه بما يفتح به الله، والأعمال بالنيات والتوفيق من الله» اهـ.

**وظائف الأوراد والأحزاب :**

قال صاحب «المفاخر العلية» موضحاً الغرض والقصد من الأحزاب والأوراد :

«ولم تكن - أى الأحزاب والأوراد - فى الصدر الأول ولا من بعدهم بقليل، لكن جرت على أيدى المشايخ الصوفية وصالحى الأمة، بحكم التصرف والنظر السديد.. إشغالا للطالبين.. وإعانة للمريدين.. وتقوية للمحبين... وحرمة للمنتسبين.. وترقية للمتوجهين من العباد والزهاد، وأهل الطاعة والسداد.. وفتحا للباب حتى يدخله عوام المؤمنين.. لما رأوا قصر الهمم، وضعف العزائم وبعد النيات، ونقص القرائح، واستيلاء الغفلة، ومرض القلوب وقلة اليقين. وأحزاب أهل الكمال ممزوجة

بأحوالهم، مؤيدة بعلومهم، مسددة بإلهامهم، مصحوبة بكراماتهم، حتى قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه فى شأن حزبه الكبير «من قرأه كان له ما لنا وعليه ماعلينا».

فالأوراد والأحزاب، يمكن تلخيص وظائفها فى ثلاثة أمور : التعليم والتيسير.. والتربية.. والترقية.

١ - «تعليم الطالبين» بالتيسير عليهم فى دعائهم، بوضع أدعية «مختارة» بين أيديهم. فقد جاء فى حديث ابن مسعود : «التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال : إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله (إلخ) ثم (ليتخير) من الدعاء أعجبه إليه فيدعو» متفق عليه واللفظ للبخارى.

وقد أخرج أبو داود بسند جيد عن بعض الصحابة أن النبى ﷺ قال لرجل:

- كيف تقول فى الصلاة؟

قال الرجل: أتشهد ثم أقول اللهم إنى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار.. أما إنى لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ.

فقال النبى ﷺ : حول ذلك ندندن أنا ومعاذ.

فالأحزاب والأوراد تيسر على الطالبين الدعاء وتعلمهم كيفية الدعاء، وتضع بين أيديهم أدعية مختارة، فيعرفون كيف يدعون. وهى أدعية جميعها مستقاة من القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ ، إن لم تكن باللفظ فهى بالمعنى. إذ أن العارف بالله تعالى مثله مثل النحلة الدءوب التى تتغذى برحيق الأزهار المختلفة، ثم تخرج هذا الرحيق شهداً طيباً شهياً، جميل الرائحة، حلو المذاق.

فالعارف بالله تعالى، يطير بجناحىْ محبة الله ورسوله، يتغذى من أزهار القرآن الكريم، والسنة الشريفة، ثم يعالج كل هذا فى نفسه أحوالا

ومقامات، وأشواقا ومواجيدَ، ورياضات ومجاهدات، وعلوما ومعارفَ، وإلهامات ومكاشفات، ثم يقدم ثمرة كل هذا شهداً طيباً شهيّاً، أوراداً وأحزاباً، جميلة العبارات، حلوة المعانى، فاتحة لشهية الذكر، مغذية للروح، مقوية للقلب.

٢ - تربية الطالبين والمريدين والمحبين، بشغلهم بالذكر، وإعانتهم على رياضة النفس وتطهير القلب، وتقوية أرواحهم.

٣ - ترقية المتوجهين من العُبَّاد والزهاد وأهل الطاعة والسداد.. لأن أحزاب العارفين بالله ممزوجة بأحوالهم مسددة بإلهامهم، مصحوبة بكراماتهم.

«وكثير من العارفين يؤكدون أنهم تلقوا أحزابهم من معين الصفاء بطريق الإلهام، إما فى منامهم أو فى يقظتهم، بل إن منهم من أكد أنه كان يقرأ أحزابه مكتوبة على صفحات الكون، فوعاها وألهم معانيها، ثم صاغها بعبارته الخاصة»(١).

* * *

## هل هناك ضرورة للإذن لتلاوة الأحزاب؟

كثيراً مايتساءل بعض المريدين: هل يجوز للمريد أن يقرأ أحزاباً أو ورداً بدون إذن من شيخ ناصح مأذون له !؟

أصل الإذن من قوله تعالى ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾.

فالدعوة إلى طريق الله لابد أن تكون بإذن من الله. والشيخ الذى يلقى المريد القياد له، يجب أن يكون مأذوناً له بالإرشاد.. ومن هنا قيل إن الحزب يجب أن يقرأ بإذن.. ولكن..

---

(١) أبو الحسن الشاذلى لعلى سالم عمار جـ٢، ص ١٧٣.

ولكن هذا القول لايؤخذ على إطلاقه، إذ أن القصد من قراءة الحزب أو الورد قد يكون أحد ثلاثة :

إما التعبد .. بالدعاء
وإما التبرك بصاحب الحزب
وإما السلوك والترقية ..

والإذن ليس ضرورياً إلا إذا كان القصد من تلاوة الحزب السلوك والترقية، حتى تكون هناك صلة بين المسلك وطالب التسليك .. أما إذا كان القصد مجرد التعبد والتبرك، فلا ضرورة لهذا الإذن ..

ولكن .. هناك أحزاب وأوراد معينة، لايجوز قراءتها إلا بإذن، وهى الأحزاب والأوراد التى وضعت للتصرف فى بعض الأمور العارضات .. وقد قال مشايخنا رضوان الله عليهم مثلا إن «حزب النصر» للشيخ أبى الحسن الشاذلى لايقرأ إلا بإذن .. وكذلك «عدية يس» إذ أن كثيراً ما يقصد بقراءتها إيذاء الغير والانتقام منه .. وكذلك هناك أحزاب اشترط أصحابها ألا تقرأ إلا بإذن، فيجب احترام شرطهم.

ولما كان حزب البر، ليس من الأحزاب المقصود بها التصريف، فيمكن لكل طالب أن يقرأه، وخاصة أن الإمام أبا الحسن رضى الله عنه قد أذن إذناً عامًّا بقراءته، بأن قال : من قرأ حزبنا كان منا، له ما لنا وعليه ماعلينا.

* * *

**مكانة أحزاب الإمام أبى الحسن الشاذلى :**

وأحزاب إمامنا أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه من أشهر أحزاب العارفين بالله، التى عرف قدرها المبتدؤون والواصلون .. ويقول ابن عباد الشافعى (صاحب المفاخر العلية) فى شأنها :

«واعلم أن أحزاب الشيخ رضى الله عنه جامعة بين إفادة العلم وآداب التوحيد، وتعريف الطريقة، وتلويح الحقيقة، وذكر جلال الله تعالى وعظمته وكبريائه، وذكر حقارة النفس وخستها والتنبيه على خداعها وغوايتها، والإشارة لوصف الدنيا والخلق، وطريق الفرار من ذلك ووجه حصوله، والتذكر بالذنوب والعيوب، والتنصل منها مع الدلالة على خاص التوحيد وخالصه، واتباع الشرع ومطالبه، فهى تعليم فى قالب التوجه، وتوجه فى قالب التعليم، من نظرها من حيث العلم وجده كامناً فيها، ومن نظرها من حيث العمل فهى عينه، ومن نظرها من حيث الحال وجده كامناً فيها، وقد شهد شاهدها بذلك عند الخاص والعام، فلا يسمع أحد من كلامها شيئاً إلا وجد له أثراً فى نفسه، ولايقرؤها إلا كان مثل ذلك، ما لم يكن مشغولا ببلوى أو مشغوفا بدنيا، أو مصروفا بدعوى، أعاذنا الله تعالى من البلاء».

* * *

**مكانة حزب البر:**

وإذا كانت أحزاب الشيخ رضى الله عنه تمتاز عامة بهذه الإشارات والتوجيهات، والآثار والأحوال، فإن حزب البر بصفة خاصة تظهر فيه كل هذه المعانى والإشارات والأحوال والمقامات، ولذا اهتم به شيوخنا الأجلاء ووضعوا فيه الشروح الكثيرة..

ولا غرو أن يكون لحزب البر هذه المكانة، فهو الحزب الذى قال فيه الشيخ رضى الله عنه:

- والله ماوضعت فيه حرفاً إلا بإذن من ربى، وأمر من رسول الله ﷺ.
- من قرأحزبنا فله ما لنا وعليه ما علينا[1].

---

(١) أى له ما لنا من الحرمة، وعليه ما علينا من الرحمة.

- له سر عظيم فى كل شىء لايعلمه إلا الله.

ولقد لفت هذا الحزب اهتمام الأدباء، الذين يهتمون بقوة التعبير، وحسن التصوير، وجمال التفكير، فراحوا يدرسونه من ناحية جزالة اللفظ، وبلاغة العبارة، وسمو المعنى، فقال الدكتور زكى مبارك[١]:

«وسنكتفى بالكلام عن الأحزاب بحزب البر «الحزب الكبير للشاذلى» وهو فى رأينا أفضل الأحزاب من حيث اللفظ والمعنى، فهو تحفة فنية قليلة النظر، وهو فى معناه قوة روحية وعقلية عديمة المثال».

ثم يقول زكى مبارك عن بعض فقرات هذا الحزب :

«إنها خير ما أنتجت القرائح، ولايفنى مافيها من قوة المعنى وطرافة الخيال....».

إلى أن قال:
«وبالجملة فإن فقرات الحزب تحتوى على دقائق الأسرار والإشارات التى لايفهمها إلا كبار الحكماء».

ثم أهاب بالمثقفين والعاديين أن يقرأوا هذا الحزب، وأن يتدبروا مافى فقراته من المعانى الرائعة، والدقائق الروحية الفائقة العالية.

* * *

### شرح عبد الرحمن الفاسى:

وممن اهتم بشرح حزب البر، الشيخ العلامة، والبحر الفهامة، قطب المهتدين وإمام الواصلين، العارف بالله تعالى السيد عبد الرحمن بن محمد الفاسى رضى الله تعالى عنه وأسكنه فسيح جناته، وأنزل عليه سحائب الرضا.

---

(١) كتاب التصوف الإسلامى وصلته بالأدب والأخلاق، جـ٢، ص ٩٢.

وقد فض الشيخ عبد الرحمن الفاسى رضى الله عنه، أصداف هذا الحزب، وأبان مايحويه من جواهر المعانى، وكنوز التصوف والسلوك ويمتاز هذا الشرح بالإشراقات التى فتح بها الله على صاحبها.. ولاغرو فهو من شيوخ الطريق ومن كبار أقطاب السلسلة الشاذلية.. فقد تلقى الطريق عن سيدى عبد الله الفاسى عن سيدى يوسف الفاسى.. عن سيدى عبد الرحمن المجذوب.. عن سيدى على الصنهاجى.. عن سيدى إبراهيم الفحام.. عن البحر الدفوق سيدى أحمد زروق عن سيدى أحمد ابن عقبة الحضرمى.. عن سيدى الشريف القادرى.. عن سيدى على وفا.. عن والده بحر الصفا سيدى محمد وفا.. عن سيدى داود الباخلى.. عن سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى صاحب الحكَم.. عن سيدى أحمد أبى العباس المرسى.. عن سيدى على أبى الحسن الشاذلى.. عن سيدى عبد السلام بن مشيش.. عن سيدى عبد الرحمن المدنى العطار. . عن تقى الدين الفقير.. عن سيدى فخر الدين.. عن سيدى نور أبى الحسن.. عن سيدى تاج الدين.. عن سيدى شمس الدين بأرض الترك.. عن سيدى زين الدين القزوينى.. عن سيدى إبراهيم البصرى.. عن أبى القاسم بن مروان.. عن أبى محمد فتح السعود.. عن أبى محمد سعيد الغزوانى.. عن سيدى أبى محمد جابر.. عن السبط الشهيد سيدنا الحسن ابن الإمام على بن أبى طالب.. عن والده الإمام على كرم الله وجهه.. عن صفوة خلق الله سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله أول خلق الله وخاتم أنبياء الله، وأكمل رسل الله وأشفع مشفع عند الله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه[١].

وهذا الشرح سبق أن طبع من قبل فى عام ١٣٣٣ هجرية وقد رأينا أن نقدمه فى صورة جديدة تيسر على القارئ وتعين الباحث فجزأناه فى

---

(١) هذه السلسلة نقلناها عن كتاب السبيل الواضح للعارف بالله تعالى الشيخ حسنين الحصافى رضى الله عنه.

فصول، وأوضحنا فى مقدمة كل فصل مايحويه من نقاط وبحث.. ثم رأينا أن الشرح فى ذاته يحتاج إلى تعليق فى كثير من المواطن، نوضح فيه ماغمض من معانٍ وما أوجز من إشارات إلي غير ذلك من التعليقات التى ذيلنا بها هذا الشرح.

ونرجو أن نكون بهذا العمل، قد قدمنا لأحبابنا من المتصوفين عامة والشاذلية خاصة، نبراسا كان الكثيرون يفتقدونه، ليروا فى نوره مايحتويه حزب البر من اللآلئ والجواهر والكنوز.. هذا النبراس الذى أضاءه وقدمه الشيخ القطب الولى عبد الرحمن الفاسى رضى الله عنه.. وما صنعنا شيئا إلا أننا عثرنا على هذا النبراس، وقدمناه لأحبابنا من أبناء هذا العصر.

والله نسأل أن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع، وينفعنا وإياكم به، ويهدينا إلى سواء السبيل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

محمد عطية خميس

**لمحة تاريخية فى سطور:**

## الإمام أبو الحسن الشاذلى
### تقى الدين على بن عبد الجبار
### (٥٩٣ - ٦٥٦ هـ)

* هو أبو الحسن الشاذلى. اسمه «على». ولقبه «تقى الدين» وكنيته «أبو الحسن» وشهرته «الشاذلى».

وهو شريف علوى، نسبه الأغلب إلى «الحسن بن على» من جهة أبيه، كما نسبوه إلى «الحسين بن على» من جهة أمه.

* ولد عام ٥٩٣ هـ بقرية «غمارة» المغربية القريبة من مدينة سبتة ونشأ فيها وأتم حفظ القرآن وتجويده بها وتلقى علومه الابتدائية على شيوخها.

* تاقت نفسه وهو صبى يدرس إلى سلوك طريق القوم، فاتجه إلى أبى عبد الله بن أبى الحسن بن حرازم، ولبس منه خرقة التصوف وسلك على يديه بادئ الأمر وتلقى منه مبادئ الطريق.

* رحل إلى «زرويلة» ثم إلى مدينة تونس وتلقى على علمائها وشيوخها علوم الفقه على مذهب الإمام مالك والنحو والصرف والأدب والتفسير والحديث والتوحيد وعلم الكلام وبالجملة جميع العلوم الدينية، وتفوق فى هذه العلوم تفوقاً كبيراً وبذ أقرانه حتى أصبح يناظر أكبر العلماء بتونس وينتصر عليهم.

* ثم كانت له سياحات كثيرة منذ كان يافعاً، فقد دخل أكثر بلاد المغرب ودخل القيروان وأفريقية وأدى فريضة الحج مرات كثيرة، فدخل مصر وفلسطين والشام ورحل إلى العراق. دخل كل هذه البلاد أولا طالبا

ودارساً للعلوم النقلية والعقلية والصوفية، وللتعرف على العلماء الأعلام من كل صنف.

* لقى أبا سعيد الباجى بتونس، وشهد له بالولاية، وسمع منه وأخذ عنه وانتفع به كما التقى أيضاً بأبى الفتح الواسطى بالعراق عام ٦١٨ هـ وشهد له بالعلم وسبيل الإرشاد القويم.

* كان بالعراق شيوخ كثيرون، وكان يطلب على القطب، فأخبره الشيخ أبو الفتح أن القطب فى بلاده، فرجع الشيخ إلى بلاد المغرب إلى أن اجتمع بأستاذه الشيخ الولى العارف الصديق القطب الغوث أبى محمد عبد السلام بن مشيش الشريف الحَسنى.

* قال له الشيخ ابن مشيش بعد أن صحبه مدة :

«يا على ارتحل إلى أفريقية واسكن بها بلداً تسمى شاذلة فإن الله يسميك الشاذلى، وبعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس، ويؤتى عليك بها من قبل السلطنة وبعد ذلك تنتقل إلى بلاد المشرق وترث فيها القطبانية».

* ترك مدينة «فاس» واتجه تنفيذاً لأمر أستاذه نحو «تونس» واتجه نحو «شاذلة» ونزل بطرف من أطراف «شاذلة» ولجأ إلى غار فى جبل زغوان المطل على شاذلة، واتخذه رباطاً له يقيم ويتعبد فيه.

* أقام فى شاذلة وطالت إقامته وذاعت شهرته وعرف الناس له فضله وصلاحه وتقواه وآمنوا بولايته، فعرف منذ ذلك الحين بـ«الشاذلى» وغلبت عليه هذه الشهرة، وقصده الناس من الأماكن والبلدان المجاورة، وبدأ يخرج عن رباطه بعض الوقت فيقيم بإحدى الدور فى مدينة تونس يدرس ويعظ وينشر دعوته وطريقته بين تلاميذه ومحبيه ومريديه.

* تضايق العلماء والفقهاء من التفاف الناس حوله فثار حقدهم

وحسدهم، وفي مقدمتهم قاضى الجماعة وعالمها أبو القاسم بن البراء، الذى أراد الكيد للشيخ فسعى به لدى سلطان تونس، ولكن الشيخ خرج من هذه المؤامرة معززاً مكرماً فسافر الشيخ للحج، ولكن ابن البراء أرسل كتابا إلى سلطان مصر ليسعى ضد الشيخ لديه متهماً إياه بأنه يحاول انتزاع سلطانه، ولكن ثبت بعد القبض على الشيخ ومحاكمته أن اتهام ابن البراء اتهام مغرض، فبرئ الشيخ وأحيط بالتكريم.

* بعد أن أدى الشيخ فريضة الحج أسرع بالعودة إلى تونس، وتحققت نبوءة كان قد رآها منذ عشر سنوات قبلها، فالتقى لأول مرة بتلميذه وصفيه وخليفته أبى العباس المرسى.

* وفى سنة ٦٤٢ هـ رأى رسول الله ﷺ فى الرؤيا يقول له: «يا على انتقل إلى الديار المصرية، فإنك تربى فيها أربعين صدِّيقاً».

* فرحل الشيخ إلى مصر وفى صحبته عدد كبير من تلاميذه ومريديه الذين آثروا صحبته على البقاء فى أوطانهم، ودخلوا الإسكندرية، وكان دائم الرحلة إلي المدن المصرية الكبرى، يعظ ويوجه وينشر طريقته.

* بعد أربع سنوات من وصوله إلى مصر، كف بصره إذ أنه أصيب بالماء فغشى بصره. ويقول معللا سبب فقده بصره.

- لقيت بعض الأولياء فى إحدى سياحاتى، فعرضت عليه كلاما فى التوحيد فصاح الرجل ومات فقيل لى. ياعلى لم فعلت ذلك؟ لتعاقبن بذهاب بصرك.

* كان الشيخ يحمل نفسه المشاق - على كبر سنه - فى سبيل قضاء حاجات أتباعه ومريديه ورعاية شؤونهم.

* وفى سنة ٦٥٦ هـ أحس الشيخ بدنو أجله، فقرر السفر إلي حميثرا، وطلب من أصحابه الذين اختارهم لصحبته، فأساً وقفة وحنوطاً

ومايجهز به الميت، وفى شوال من تلك السنة، وصلوا حميثرا - وهى موضع فى الصحراء المؤدية إلي عيذاب على البحر الأحمر، وأصابته وعكة وانحرف مزاجه فجمع أصحابه، وأوصاهم بأشياء كثيرة وخاصة بحزب البحر.

* وبات الشيخ ولسانه لايفتر عن ذكر الله، فلما كان الفجر طلب ماء للوضوء فتوضأ ودخل فى الصلاة، وفى السجدة الأخيرة صعدت روحه إلى بارئها، وصلى عليه القوم يؤمهم الشيخ أبو العباس، ودفن رضى الله عنه حيث مات فى حميثرا.

* كان رضى الله عنه آدم اللون نحيف الجسم، خفيف العارضين، طويل أصابع اليدين كأنه حجازى، وكان فصيح اللسان، عذب الكلام، يلبس الفاخر من الثياب، ويركب الفاره من الدواب، ويتخذ الخيل الجياد، وكان لايعجبه الزى الذى اصطلح عليه الفقراء، ولايتخذ المرقعات التى يتخذها الصوفية لأن العابد أو الزاهد إذا تميز بالزى افتضح سره.

* وأكثر من تلقى الشيخ عنهم هم : أبو عبد الله بن حرازم وأبو سعيد الباجى، وأبو محمد المهدوى ومحيى الدين بن عربى وأبو الفتح الواسطى وعبد السلام بن مشيش رضى الله عنهم.

* ومن أشهر تلاميذه، أبو العباس المرسى، وخادمه الأمين أبو العزائم ماضى بن سلطان، ومكين الدين الأسمر، وعبد الحكيم بن أبى الحوافر، وأبو القاسم القبارى، وأمين الدين جبريل، وابن المنير، وشرف الدين الوفى وغيرهم كثيرون.

* لم يضع رضى الله عنه كتباً، وقد روى ابن عطاء الله أن أحد الأتباع سأل الشيخ مرة : لم ياسيدى لاتضع الكتب فى الدلالة على علوم القوم؟ فأجاب الشيخ : كتبى أصحابى.

* كل ماوصل إلينا من آثاره العلمية الصوفية، مانقله أصحابه عنه من

وصاياه وأقوال مأثورة وأدعية وأحزاب وأوراد، وهى تدل على مدى ماوصل إليه من رقة القلب، حتى لم يعد يشغله غير حب الله سبحانه وتعالى، ومن أشهر أحزابه حزب البر وحزب البحر.

* بالرغم من المجاهدات القاسية التى بذلها الشيخ فى سلوكه، إلا أنه كان ينصح مريديه بتصفية النفس، وصقل مرآة القلب دون مشقة، حتى يتمكن من الوصول، فكان يقول:

- ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعير والنخالة، ولا بقبقة الصناعة، وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين فى الهداية.

- وقال أيضاً: «لاتسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها وتنحل أعضاؤك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها بالهمة أو بالفكرة أو بالإرادة أو بالحركة.

- وقال: «يابنى برِّد الماء فإنك إذا شربت الماء السخن فقلت الحمد لله تقولها بكزازة، وإذا شربت الماء البارد فقلت الحمد لله، استجاب كل عضو فيك بالحمد لله.

- وقال: عليكم بالسبب - أى العمل والسعى وراء الرزق - وليجعل أحدكم مكوكه سبحته، أو تحريك أصابعه فى الخياطة أو الضفر سبحته.

* إن مناقب الشيخ والحديث عنه وبيان مآثره، تحتاج إلى المؤلفات الطوال، فكيف تتسع لها هذه السطور القلائل، وما بالك بشيخ لم يكن يغيب عن طرفه رسول الله ﷺ. فقال رضى الله عنه:

- والله لو حجب عنى رسول الله طرفة عين ماعددت نفسى من المسلمين!!؟

# حزب البر

## المعروف بالحزب الكبير

### للإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه

الوقت المختار لهذا الورد بعد صلاة الصبح ولا يتكلم حال تلاوته

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۞ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

الٓر ۞ كٓهيعٓصٓ

حم عسق

رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۞ طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۞ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۞ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۞ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۞ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۞ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۞

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي بِالْجَهَالَةِ مَعْرُوفٌ وَأَنْتَ بِالْعِلْمِ مَوْصُوفٌ وَقَدْ وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ جَهَالَتِي بِعِلْمِكَ فَسَعْ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ كَمَا وَسِعْتَهُ بِعِلْمِكَ وَاغْفِرْ لِي إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

يَا اللَّهُ يَا مَالِكُ يَا وَهَّابُ هَبْ لَنَا مِنْ نُعْمَاكَ مَا عَلِمْتَ لَنَا فِيهِ رِضَاكَ وَاكْسُنَا كِسْوَةً تَقِينَا بِهَا مِنَ الْفِتَنِ فِي جَمِيعِ عَطَايَاكَ وَقَدِّسْنَا عَنْ كُلِّ وَصْفٍ يُوجِبُ نَقْصًا مِمَّا اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ .

يا أللهُ يا عظيمُ يا عليُّ يا كبيرُ * نسألك الفقرَ مما سواك، والغنى بك حتى لا نشهدَ إلا إياك، والطف بنا فيهما لطفاً علمته يصلح لمن والاك، واكسنا جلابيب العصمة في الأنفاس واللحظات واجعلنا عبيداً لك في جميع الحالات، وعلمنا من لدنك علماً نصير به كاملين في المحيا والممات،

اللهمَّ أنت الحميدُ الربُّ المجيدُ الفعالُ لما تريدُ، تعلم فرحنا بماذا ولماذا وعلى ماذا وتعلم حزننا كذلك، وقد أوجبت كون ما أردته فينا ومنا ولا نسألك دفع ما تريد ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت أنبياءك ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك إنك على كل شيء قدير.

اللهمَّ فاطرَ السموات والأرض عالمَ الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك، فهنيئاً لمن عرفك فرضي بقضائك، والويل لمن لم يعرفك بل الويل

ثُمَّ الوَيْلُ لِمَنْ أَقَرَّ بِوَحْدَانِيَّتِكَ وَلَمْ يَرْضَ بِأَحْكَامِكَ.
اللَّهُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ حَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالذُّلِّ حَتَّى عَزُّوا وَحَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالْفَقْدِ حَتَّى وَجَدُوا فَكُلُّ عِزٍّ يَمْنَعُ دُونَكَ فَنَسْأَلُكَ بَدَلَهُ ذُلًّا تَصْحَبُهُ لَطَائِفُ رَحْمَتِكَ وَكُلُّ وَجْدٍ يَحْجُبُ عَنْكَ فَنَسْأَلُكَ عِوَضَهُ فَقْدًا تَصْحَبُهُ أَنْوَارُ مَحَبَّتِكَ فَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَتِ السَّعَادَةُ عَلَى مَنْ أَحْبَبْتَهُ وَظَهَرَتِ الشَّقَاوَةُ عَلَى مَنْ غَيْرُكَ مَلَكَهُ فَهَبْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ السُّعَدَاءِ وَاعْصِمْنَا مِنْ مَوَارِدِ الأَشْقِيَاءِ.
اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ عَجَزْنَا عَنْ دَفْعِ الضُّرِّ عَنْ أَنْفُسِنَا مِنْ حَيْثُ نَعْلَمُ بِمَا نَعْلَمُ فَكَيْفَ لَا نَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ لَا نَعْلَمُ بِمَا لَا نَعْلَمُ وَقَدْ أَمَرْتَنَا وَنَهَيْتَنَا وَالْمَدْحَ وَالذَّمَّ أَلْزَمْتَنَا فَأَخُو الصَّلَاحِ مَنْ أَصْلَحْتَهُ وَأَخُو الْفَسَادِ مَنْ أَضْلَلْتَهُ وَالسَّعِيدُ حَقًّا مَنْ أَغْنَيْتَهُ عَنِ السُّؤَالِ مِنْكَ وَالشَّقِيُّ حَقًّا مَنْ حَرَمْتَهُ مَعَ كَثْرَةِ السُّؤَالِ لَكَ فَأَغْنِنَا بِفَضْلِكَ عَنْ سُؤَالِنَا مِنْكَ

وَلَا تَحْرِمْنَا مِنْ رَحْمَتِكَ مَعَ كَثْرَةِ سُؤَالِنَا لَكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
يَا شَدِيدَ الْبَطْشِ يَا جَبَّارُ يَا قَهَّارُ يَا حَكِيمُ نَعُوذُ بِكَ مِنْ
شَرِّ مَا خَلَقْتَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ ظُلْمَةِ مَا أَبْدَعْتَ وَنَعُوذُ
بِكَ مِنْ كَيْدِ النُّفُوسِ فِيمَا قَدَّرْتَ وَأَرَدْتَ وَنَعُوذُ بِكَ
مِنْ شَرِّ الْحُسَّادِ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ وَنَسْأَلُكَ عِزَّ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ كَمَا سَأَلَكَهُ نَبِيُّكَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِزَّ الدُّنْيَا بِالْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ وَعِزَّ
الْآخِرَةِ بِاللِّقَاءِ وَالْمُشَاهَدَةِ إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ
اللَّهُمَّ إِنِّي أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ نَفَسٍ
وَلَمْحَةٍ وَطَرْفَةٍ يَطْرِفُ بِهَا أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ
الْأَرْضِ وَكُلِّ شَيْءٍ هُوَ فِي عِلْمِكَ كَائِنٌ
أَوْ قَدْ كَانَ أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ
وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا
الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا

شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِبَسْطِ يَدَيْكَ وَكَرَمِ وَجْهِكَ وَنُورِ عَيْنَيْكَ وَكَمَالِ أَعْيُنِكَ أَنْ تُعْطِيَنَا خَيْرَ مَا نَفَذَتْ بِهِ مَشِيئَتُكَ وَتَعَلَّقَتْ بِهِ قُدْرَتُكَ وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ وَاكْفِنَا شَرَّ مَا هُوَ ضِدٌّ لِذَلِكَ وَأَكْمِلْ دِينَنَا وَأَتْمِمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ وَهَبْ لَنَا حِكْمَةَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ مَعَ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَالْمَوْتَةِ الْحَسَنَةِ وَتَوَلَّ قَبْضَ أَرْوَاحِنَا بِيَدِكَ وَحُلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ غَيْرِكَ فِي الْبَرْزَخِ وَمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ بِنُورِ ذَاتِكَ وَعَظِيمِ قُدْرَتِكَ وَجَمِيلِ فَضْلِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَا أَللَّهُ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ يَا حَلِيمُ يَا حَكِيمُ يَا كَرِيمُ يَا سَمِيعُ يَا قَرِيبُ يَا مُجِيبُ يَا وَدُودُ حُلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَالنِّسَاءِ وَالْغَفْلَةِ وَالشَّهْوَةِ وَظُلْمِ الْعِبَادِ وَسُوءِ الْخُلُقِ وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَاقْضِ عَنَّا تَبِعَاتِنَا وَاكْشِفْ عَنَّا السُّوءَ وَنَجِّنَا مِنَ الْغَمِّ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْهُ

مَخْرَجًا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
يَا أَللهُ يَا أَللهُ يَا أَللهُ يَا لَطِيفُ يَا رَزَّاقُ يَا قَوِيُّ
يَا عَزِيزُ لَكَ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ تَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ تَشَاءُ وَتَقْدِرُ فَابْسُطْ لَنَا مِنَ الرِّزْقِ
مَا تُوصِلُنَا بِهِ إِلَى رَحْمَتِكَ وَمِنْ رَحْمَتِكَ مَا تَحُولُ
بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ نِقْمَتِكَ وَمِنْ حِلْمِكَ مَا يَسَعُنَا بِهِ
عَفْوُكَ وَاخْتِمْ لَنَا بِالسَّعَادَةِ الَّتِي خَتَمْتَ بِهَا
لِأَوْلِيَائِكَ وَاجْعَلْ خَيْرَ أَيَّامِنَا وَأَسْعَدَهَا يَوْمَ لِقَائِكَ
وَزَحْزِحْنَا فِي الدُّنْيَا عَنْ نَارِ الشَّهْوَةِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ
فِي مَيَادِينِ الرَّحْمَةِ وَاكْسُنَا مِنْ نُورِكَ جَلَابِيبَ الْعِصْمَةِ
وَاجْعَلْ لَنَا ظَهِيرًا مِنْ عُقُولِنَا وَمُهَيْمِنًا مِنْ أَرْوَاحِنَا
وَمُسَخَّرًا مِنْ أَنْفُسِنَا كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا
إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا وَهَبْ لَنَا مُشَاهَدَةً تَصْحَبُهَا
مُكَالَمَةٌ وَافْتَحْ أَسْمَاعَنَا وَأَبْصَارَنَا وَاذْكُرْنَا إِذَا غَفَلْنَا
عَنْكَ بِأَحْسَنَ مِمَّا نَذْكُرُنَا بِهِ إِذَا ذَكَرْنَاكَ وَارْحَمْنَا
إِذَا عَصَيْنَاكَ بِأَتَمَّ مِمَّا تَرْحَمُنَا بِهِ إِذَا أَطَعْنَاكَ وَاغْفِرْ لَنَا

ذُنُوبَنَا مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ وَالْطُفْ بِنَا لُطْفًا يَحْجُبُنَا عَنْ غَيْرِكَ وَلَا يَحْجُبُنَا عَنْكَ فَإِنَّكَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

اَللَّهُمَّ إِنَّا نَسْئَلُكَ لِسَانًا رَطْبًا بِذِكْرِكَ وَقَلْبًا مُنَعَّمًا بِشُكْرِكَ وَبَدَنًا هَيِّنًا لَيِّنًا بِطَاعَتِكَ وَأَعْطِنَا مَعَ ذَلِكَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُكَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَبَ مَا عَلِمْتَهُ بِعِلْمِكَ وَأَغْنِنَا بِلَا سَبَبٍ وَاجْعَلْنَا سَبَبَ الْغِنَى لِأَوْلِيَائِكَ وَبَرْزَخًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اَللَّهُمَّ إِنَّا نَسْئَلُكَ إِيمَانًا دَائِمًا وَنَسْئَلُكَ قَلْبًا خَاشِعًا وَنَسْئَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا وَنَسْئَلُكَ يَقِينًا صَادِقًا وَنَسْئَلُكَ دِينًا قَيِّمًا وَنَسْئَلُكَ الْعَافِيَةَ مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَنَسْئَلُكَ تَمَامَ الْعَافِيَةِ وَنَسْئَلُكَ دَوَامَ الْعَافِيَةِ وَنَسْئَلُكَ ٱلشُّكْرَ عَلَى ٱلْعَافِيَةِ وَنَسْئَلُكَ ٱلْغِنَى عَنِ ٱلنَّاسِ (ثَلَاثًا)

اَللَّهُمَّ إِنَّا نَسْئَلُكَ التَّوْبَةَ الْكَامِلَةَ وَالْمَغْفِرَةَ الشَّامِلَةَ وَالْمَحَبَّةَ الْكَامِلَةَ الْجَامِعَةَ وَالْخُلَّةَ الصَّافِيَةَ وَالْمَعْرِفَةَ الْوَاسِعَةَ وَالْأَنْوَارَ السَّاطِعَةَ وَالشَّفَاعَةَ الْقَائِمَةَ وَالْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ وَالدَّرَجَةَ الْعَالِيَةَ وَفُكَّ وَثَاقَنَا مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَرِهَانَنَا مِنَ النِّعْمَةِ بِمَوَاهِبِ الْمِنَّةِ

اَللَّهُمَّ إِنَّا نَسْئَلُكَ التَّوْبَةَ وَدَوَامَهَا وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا فَذَكِّرْنَا بِالْخَوْفِ مِنْكَ قَبْلَ هُجُومِ خَطَرَاتِهَا وَاحْمِلْنَا عَلَى النَّجَاةِ مِنْهَا وَمِنَ التَّفَكُّرِ فِي طَرَائِقِهَا وَامْحُ مِنْ قُلُوبِنَا حَلَاوَةَ مَا اجْتَنَيْنَاهُ مِنْهَا وَاسْتَبْدِلْهَا بِالْكَرَاهَةِ لَهَا وَالطَّعْمِ لِمَا هُوَ بِضِدِّهَا وَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَفْوِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ وَبَالِهَا وَاجْعَلْنَا عِنْدَ الْمَوْتِ نَاطِقِينَ بِالشَّهَادَةِ عَالِمِينَ بِهَا وَارْأَفْ بِنَا رَأْفَةَ الْحَبِيبِ بِحَبِيبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَنُزُولِهَا وَأَرِحْنَا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَغُمُومِهَا بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا .

اَللّٰهُمَّ إِنَّا نَسْئَلُكَ تَوْبَةً سَابِقَةً مِنْكَ إِلَيْنَا لِتَكُونَ تَوْبَتُنَا تَابِعَةً إِلَيْكَ مِنَّا وَهَبْ لَنَا التَّلَقِّيَ مِنْكَ كَتَلَقِّي آدَمَ مِنْكَ الْكَلِمَاتِ لِيَكُونَ قُدْوَةً لِوَلَدِهِ فِي التَّوْبَةِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعِنَادِ وَالإِصْرَارِ وَالشَّبَهِ بِإِبْلِيسَ رَأْسِ الْغُوَاةِ وَاجْعَلْ سَيِّآتِنَا سَيِّآتِ مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَا تَجْعَلْ حَسَنَاتِنَا حَسَنَاتِ مَنْ أَبْغَضْتَ فَالإِحْسَانُ لَا يَنْفَعُ مَعَ الْبُغْضِ مِنْكَ وَالإِسَاءَةُ لَا تَضُرُّ مَعَ الْحُبِّ مِنْكَ وَقَدْ أَبْهَمْتَ الأَمْرَ عَلَيْنَا لِنَرْجُوَ وَنَخَافَ فَآمِنْ خَوْفَنَا وَلَا تُخَيِّبْ رَجَاءَنَا وَأَعْطِنَا سُؤْلَنَا فَقَدْ أَعْطَيْتَنَا الإِيمَانَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَسْأَلَكَ وَكَتَبْتَ وَحَبَّبْتَ وَزَيَّنْتَ وَكَرَّهْتَ وَأَطْلَقْتَ الأَلْسُنَ بِمَا بِهِ تَرْجَمَتْ فَنِعْمَ الرَّبُّ أَنْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ فَاغْفِرْ لَنَا وَلَا تُعَاقِبْنَا بِالسَّلْبِ بَعْدَ الْعَطَاءِ وَلَا بِكُفْرَانِ النِّعَمِ وَحِرْمَانِ الرِّضَا.

اَللّٰهُمَّ رَضِّنَا بِقَضَائِكَ وَصَبِّرْنَا عَلَى طَاعَتِكَ

وَعَنْ مَعْصِيَتِكَ وَعَنِ الشَّهَوَاتِ الْمُوجِبَاتِ لِلنَّقْصِ أَوِ الْبُعْدِ عَنْكَ وَهَبْ لَنَا حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ بِكَ حَتَّى لَا نَخَافَ غَيْرَكَ وَلَا نَرْجُوَ غَيْرَكَ وَلَا نُحِبَّ غَيْرَكَ وَلَا نَعْبُدَ شَيْئًا سِوَاكَ وَأَوْزِعْنَا شُكْرَ نَعْمَائِكَ وَغَطِّنَا بِرِدَاءِ عَافِيَتِكَ وَانْصُرْنَا بِالْيَقِينِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ وَأَسْفِرْ وُجُوهَنَا بِنُورِ صِفَاتِكَ وَأَضْحِكْنَا وَبَشِّرْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَوْلِيَائِكَ وَاجْعَلْ يَدَكَ مَبْسُوطَةً عَلَيْنَا وَعَلَى أَهْلِينَا وَأَوْلَادِنَا وَمَنْ مَعَنَا بِرَحْمَتِكَ وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ يَا نِعْمَ الْمُجِيبُ (ثَلَاثًا)

يَا مَنْ هُوَ هُوَ هُوَ فِي عُلُوِّهِ قَرِيبٌ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا مُحِيطًا بِاللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ أَشْكُو إِلَيْكَ مِنْ غَمِّ الْحِجَابِ وَسُوءِ الْحِسَابِ وَشِدَّةِ الْعَذَابِ وَإِنَّ ذَلِكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ إِنْ لَمْ تَرْحَمْنِي (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (ثَلَاثًا) وَلَقَدْ شَكَى إِلَيْكَ يَعْقُوبُ فَخَلَّصْتَهُ

مِنْ حُزْنِهِ وَرَدَدْتَ عَلَيْهِ مَا ذَهَبَ مِنْ بَصَرِهِ
وَجَمَعْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَلَدِهِ ۞ وَلَقَدْ نَادَاكَ نُوحٌ مِنْ
قَبْلُ فَنَجَّيْتَهُ مِنْ كَرْبِهِ ۞ وَلَقَدْ نَادَاكَ أَيُّوبُ مِنْ بَعْدُ
فَكَشَفْتَ مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ ۞ وَلَقَدْ نَادَاكَ يُونُسُ
فَنَجَّيْتَهُ مِنْ غَمِّهِ ۞ وَلَقَدْ نَادَاكَ زَكَرِيَّاءُ فَوَهَبْتَ لَهُ
وَلَدًا مِنْ صُلْبِهِ بَعْدَ يَأْسِ أَهْلِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ ۞ وَلَقَدْ
عَلِمْتَ مَا نَزَلَ بِإِبْرَاهِيمَ فَأَنْقَذْتَهُ مِنْ نَارِ عَدُوِّهِ
وَأَنْجَيْتَ لُوطًا وَأَهْلَهُ مِنَ الْعَذَابِ النَّازِلِ بِقَوْمِهِ
فَهَا أَنَا ذَا عَبْدُكَ إِنْ تُعَذِّبْنِي بِجَمِيعِ مَا عَلِمْتَ مِنْ
عَذَابِكَ فَأَنَا حَقِيقٌ بِهِ وَإِنْ تَرْحَمْنِي كَمَا رَحِمْتَهُمْ
مَعَ عَظِيمِ إِجْرَامِي فَأَنْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ وَأَحَقُّ مَنْ
أَكْرَمَ بِهِ فَلَيْسَ كَرَمُكَ مَخْصُوصًا بِمَنْ أَطَاعَكَ
وَأَقْبَلَ عَلَيْكَ بَلْ هُوَ مَبْذُولٌ بِالسَّبْقِ لِمَنْ شِئْتَ
مِنْ خَلْقِكَ وَإِنْ عَصَاكَ وَأَعْرَضَ عَنْكَ وَلَيْسَ
مِنَ الْكَرَمِ أَنْ لَا تُحْسِنَ إِلَّا لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ
وَأَنْتَ الْمِفْضَالُ الْغَنِيُّ بَلْ مِنَ الْكَرَمِ أَنْ تُحْسِنَ إِلَى

مَنْ أساءَ إليكَ وأنتَ الرَّحيمُ العليُّ كيفَ وقدْ أمرتَنا أنْ نُحسِنَ إلى مَنْ أساءَ إلينا فأنتَ أولى بذلكَ منّا (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (ثلاثًا)

يا أللهُ يا أللهُ يا أللهُ يا رحمنُ يا رحمنُ يا رحمنُ يا قيّومُ يا قيّومُ يا قيّومُ

يا مَنْ هُوَ هُوَ هُوَ يا هُوَ يا هُوَ يا هُوَ إنْ لمْ نكنْ لرحمتِكَ أهلاً أنْ ننالَها فرحمتُكَ أهلٌ أنْ تنالَنا

"يا رَبّاهُ" (ثلاثًا) "يا مولاهُ" (ثلاثًا) "يا مُغيثَ مَنْ عصاهُ" (ثلاثًا)

أغِثْنا أغِثْنا أغِثْنا يا ربُّ يا كريمُ وارحمنا يا برُّ يا رحيمُ يا مَنْ وسعَ كرسيُّهُ السمواتِ والأرضَ ولا يؤودُهُ حفظُهما وهوَ العليُّ العظيمُ

أسئلُكَ الإيمانَ بحفظِكَ إيمانًا يسكنُ بهِ قلبي مِنْ همِّ الرزقِ وخوفِ الخلقِ واقربْ منّي بقدرتِكَ

قربًا تمحق به عني كل حجاب محقته عن إبراهيم
خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله
منك وحجبته بذلك عن نار عدوه وكيف لا
يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن
منفعة الأحباء كلا إني أسألك أن تغيبني
بقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقرب
شيء ولا ببعده عني إنك على كل شيء قدير

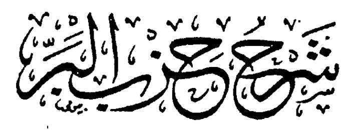
أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا
ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا
هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله إلهًا
آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه
لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت
خير الراحمين

هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين
له الدين الحمد لله رب العالمين

إن الله وملائكته يصلون على النبي

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا
إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ
إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ

اللَّهُمَّ وَارْضَ عَنْ سَادَاتِنَا الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ
أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَارْضَ
اللَّهُمَّ عَنْ سَيِّدِنَا الْحَسَنِ وَعَنْ سَيِّدِنَا
الْحُسَيْنِ وَعَنْ أُمِّهِمَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ وَعَنِ
الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ وَعَنْ أَزْوَاجِ نَبِيِّكَ الطَّاهِرَاتِ
أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَنِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ
بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالَى وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
النَّبِيِّ الْكَرِيمِ . سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ




للشيخ العلامة والبحر الفهامة
قطب المهتدين وإمام الواصلين
العارف بالله تعالى

## عبد الرحمن بن محمد الفاسي

أنزل الله عليه سحائب الرضا

«والله ماوضعت فيه حرفاً
إلا بإذن من ربى وأمر من رسول
الله ﷺ».

أبو الحسن الشاذلى

# تلقي الحزب بالإذن

- تلقى الحزب بإذن من الله وأمر من الرسول
- شواهد تلقى الولى بالإذن
- أقسام الإذن
- بركة حزب البر
- وقت تلاوته
- الآيات المتفرقات

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم

قال شيخنا العلامة البحر الفهامة
قطب المهتدين وإمام الواصلين العارف
بالله تعالى سيدى عبد الرحمن بن
محمد الفاسى، نفعنا الله تعالى
ببركاته آمين :

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد وآله مهبط الوحى وتنزل الرحمات.

وبعد، فلما كان حزب الشيخ الغوث الكبير والقطب الشهير سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه، قد اشتهر ذكره فى البدو والحضر وسار فى البلدان والأقطار مسير الشمس والقمر وكان مجرب النفع ومعلوم البركة موضوعا عليه من القبول والتعظيم والطلاوة ماهو شاهد بكونه قريب عهد من الله وبارزاً من حضرة الله ومتلقى من عين منة الله. فكان من أجل ذلك محفوظاً بالعناية وملحوظاً بالرعاية محتويا على كنوز من المعارف والأسرار وحكم من اللطائف والأنوار، قصدت إلى جمع ما ألهم الله عز وجل من بعض أسراره والاعتناء بشىء مما اشتمل عليه من معانيه ومبانيه على وجه يؤكد الانتفاع به، ويرغب فى تحصيله، راجيا من الله ببركته الفتح والتيسير والتحقيق بما رمز إليه، فإنه تعالى على مايشاء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

(هذا) وقد ورد في فضله عن واضعه رضى الله عنه على ما حكاه سيدى عبد النور رضى الله عنه أنه كان يثنى على حزبه الكبير ويقول :

- ما رتبت منه كلمة إلا بإذن من ربى وأمر من رسول الله ﷺ .

يعنى على وجه التلقى يقظة ونوما كما هو معلوم فى حق أهل الله . وشواهده من الكتاب ومن السنة كثيرة وشهيرة :

وناهيك بآية الوحى إلي أم موسى عليه السلام كما أخبر الله[١] .

وبموافقة الفاروق رضى الله عنه فى غير ما قصة[٢] .

وبقصة تلقى الأذان نوما[٣] .

---

(١) يقصد قوله تعالى «إذ أوحينا إلى أمك مايوحى . أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم» طه ٣٨ ، ٣٩ - فإن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ولدها . فقذف الله فى نفسها أن تتخذ له تابوتا ثم تقذفه فى اليم .

(٢) قال صلى الله عليه وسلم «جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه» وقال «إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به» فقد نزل القرآن فى مواضع كثيرة مؤيدا لرأى عمر ، منها رأيه فى أسرى بدر ، ورأيه فى حجب نساء الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) لما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، كان الناس يجتمعون للصلاة حين مواقيتها بغير دعوة . وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل المسلمين بوقا كبوق اليهود يدعون به لصلاتهم ، لكنه كره البوق ، فأمر بناقوس يدق ساعات الصلاة كما يدق الناقوس للنصارى ، فنحت الناقوس وكلف عمر أن يشترى الغداة له خشبتين ، وبينما عمر رضى الله عنه نائم فى داره إذ رأى فى المنام «لاتجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة» فذهب عمر إلى رسول الله يخبره بما رأى فإذا الوحى سبقه به .

ويروى أن عبد الله بن زيد سبقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يارسول الله إنه طاف بى هذه الليلة طائف . . مر بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت له ياعبد الله أتبيع هذا الناقوس؟ قال : وماتصنع به؟ قلت ندعو به إلى الصلاة . قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ وألقى إليه صيغة الأذان ، فأمر رسول الله بلالا فأذن بها ، فسمعها عمر وهو فى بيته ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه . ويقول : يانبى الله ، والذى بعثك بالحق ، لقد رأيت مثل الذى رأى .

وقضية قتال مانعي الزكاة[١].

وجمع القرآن وأخبار الفاروق رضى الله عنه عن الصديق رضى الله عنه بعد مراجعته بأن الله شرح لذلك صدره وعلم من أجل ذلك أنه الحق[٢].

وهو عين الإذن الذى تعنيه الصوفية رضى الله عنهم وذلك فى حق من فنت بشريته وتجوهرت نفسه واضمحلت إنسانيته كما يشير إلى ذلك الحديث الإلهى وهو «لايزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره»[٣] يعنى وسائر فؤاده، وحينئذ يكون العبد إن صمت فمع الله، وإن نطق فبالله، فتجمع عليه علوم سمية ،

---

(١) حين رفض المرتدون أداء الزكاة فى عهد أبى بكر رضى الله عنه، رأى أبو بكر مقاتلتهم، وخالفه فى هذا كثيرون، ومن بينهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، حتى قال لأبى بكر فى شىء من الحدة «كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن قالها عصم منى ماله ودمه إلا بحقهما وحسابهم على الله». فأجابه أبو بكر (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال. وقد قال. إلا بحقهما). قال عمر: والله ماهو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق.

(٢) استشهد فى حروب الردة عدد كبير من حفاظ القرآن، وخشى عمر بن الخطاب رضى الله عنه إن تلاحقت الغزوات أن يقتل فيها مثل من قتل من الحفاظ باليمامة، فذهب إلى أبى بكر وهو بمجلسه من المسجد، فقال له: إن القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن كلها، فيذهب قرآن كثير، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقال أبو بكر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن عمر رضى الله عنه أقنع خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر أبو بكر زيد بن ثابت بتتبع القرآن وجمعه.

(٣) الحديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وماتقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه، ومايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى أعطيته، ولئن استعاذنى لأعيذنه» رواه البخارى - (آذنته) أعلمته بأنى محارب له (استعاذنى) روى بالنون وبالباء.

وجواهر من الحكم سنية، وبحسب ذلك يحيا بها سامعها، ويمتد منها الآخذ منها.

(هذا) وقد قال الله تعالى مخبرا ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[1] وسيقول واضع الحزب أثناءه «وهب لنا التلقى منك كتلقى آدم منك الكلمات» وفى الصحيح أنه «كان فيمن قبلكم محدَّثون - فى رواية متكلمون - من غير أن يكونوا أنبياء وإن يكونوا فى أمتى فعمر منهم[2]» أو كما قال ﷺ وسيقول فى أثناء الحزب «وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة» ويأتى الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى.

* * *

وبالجملة فالإذن ينقسم إلى «تكليفى» وهو عام، وإلى «تصريفى» وهو ماكان بوارد الخبر، وإلى «تعريفى» وهو ما كان من طريق المحادثة والتكلم وليس فى ذلك كلمة مزاحمة للنبوة ولا مخالفة لما وردت به، لكون الولى فى ذلك على حكم التبع والموافقة لاحكم الاستقلال والمخالفة، والكلام هنا يطول وتكفى الإشارة إلى أنه لايكون فى ذلك أبدا استحداث حكم من الأحكام، وإنما مناطه فيما استبهم من المباح أو التأكيد بحكم من الأحكام، وإلا فهو وسوسة، وسننبه على وجه الموافقة فيما قد تخفى فيه من هذا الحزب إن شاء الله تعالى ثم شهد بصدق ماذكره من الإذن فى حزبه ماله من الحلاوة وما كساه من رونق وطلاوة فهو نفس عارف، ونفثة مكاشف، ويعترف له كل ذائق ويغترف منه كل موفق وموافق.

* * *

---

(١) سورة البقرة : ٣٧ .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدَّثون فإن يك في أمتى أحد فإنه عمر» رواه مسلم من رواية عائشة وفى روايتهما قال ابن وهب محدَّثون أى ملهَمون.

(هذا) وقد قال واضعه أيضاً فى فضله «إنه أمان للإقليم الذى يقرأ فيه».

وقال: «لو قرئ» ببغداد ما أُخذت».

وقال إنه اجتمع فى قراءته معه أربعون من الأبدال فى مواجهة الكعبة.

وقال: «من حفظه فهو من أصحابى، ومن قرأ حزبنا هذا له مالنا وعليه ماعلينا وكان داخلا فى شفاعة جدى رسول الله ﷺ» يعنى شفاعة خاصة وأما العامة فنفعها عائد على كل مؤمن.

وهذا كله لايقال بالرأى، وإنما سبيله التلقى كما تقدم، وكذلك ماذكره من الأمر ويشمله فى الجملة ما أخبر به فى الحديث وبقاء المبشرات بعد النبوة فافهم. وأما قوله: «له مالنا وعليه ما علينا» فهى عبارة مطروقة للناس فى هذا الكلام وأقرب من ذلك مايشير إليه كلام وارثه رضى الله عنه فى قصة مذكورة فى لطائف المنن قال فيها «من دخل فى شروطنا فهو آمن، وعليه فله مالنا من الأمر وعليه ماعلينا من الشروط» وهو قريب من قوله «من حفظه فهو من أصحابى» لأن ذلك كله من شواهد محبته واستحسان طريقته، فالأخذ بذلك دخول فيها، وتقييد بشروطها وتمسك بها، فلا يعدم من ذلك بركتها والله أعلم.

* * *

(هذا) وقد رتبه وارثه سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه ورداً بعد صلاة الصبح كما رتب حزب البحر وردا بعد صلاة العصر. واستمر عمل الكثير من شيوخ السادة الشاذلية على قراءته من قوله «وإذا جاءك» وبذلك سماه ابن عطاء الله فى لطائف المنن رضى الله عنه.

* * *

وأما ماقيل فى ذلك فذكر عن واضعه رضى الله عنه أنه كان يقرؤه مرة

ويتركه أخرى، على أن غالبه - أى قراءته - قرآن، ولكن السر فى ترتيب ذلك وقد تقدم، أنه عن بصيرة ربانية - يوافقه ماورد عن بعض الصحابة وهو بلال رضى الله عنه من أنه مر به النبى ﷺ وهو يقرأ آية من هذه السورة وآية من هذه، فسأله عن ذلك فقال «أخلط الطيب بالطيب» فقال عليه الصلاة والسلام.

«اقرأ السورة على وجهها». وفى بعضها فقال «أحسنت»[1].

وعلى رواية أحسنت يصلح شاهدا فى الجملة، وأما الرواية الأخرى وهو أمره له بقراءة السورة على وجهها، فمحافظة على نظمه.

وفى نوادر الأصول: حديث بلال هذا وتمثيله بالنحلة تأكل من الحلو والمر ويمسى ذلك كله حلوا وشفاء وهو يصلح توجيها لفعل بلال رضى الله عنه، وأما أمره له بقراءة السورة على وجهها فلأن الشفاء فيها اقتضى تدبيره تعالى من نظمه كما سماه شفاء لما فى الصدور.

هذا وفى نوازل البرزلى مانصه:

«وقد رأيت أحاديث فى الرقَى والحفظ من الغوائل تقتضى جواز (قراءة) القرآن مفرقا، وكذلك جل أحزاب الشيخ العارف بربه تعالى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه وقد أكثر منها فى حزبه الكبير الشهير».

---

(١) حديث «سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا يقرأ من ههنا ومن ههنا فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت» أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح.

«وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا، فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم».

# كتب ربكم على نفسه الرحمة

- آية الاستفتاح
- سر الأسرار المانع من الأضرار
- كيف حج «آدم» «موسى»؟
- الجرعة الأولى من دواء النفوس الخبيثة
- من تقرب إلى الله شبراً
- فرح الله بتوبة عبده المؤمن

**(ثم الذى يظهر فى سر استفتاحه بآية إن الله اشترى)** مافى ذلك من تذكير المتوجه بتنبيهه لطريق القصد إلى الله تعالى وهو إلقاء النفس سلما بين يدى الله تعالى من غير تدبير معه ولا منازعة فيما يجرى عليه وهو مبنى طريق الصوفية ومناط العبودية وهذا المعنى هو الذى حام عليه صاحب التنوير فى إسقاط التدبير وضمنه كتابه، ولما تحقق بذلك القرنبالى، كان كثيراً مايجرى فى كلامه (أنا مالى فياش إش على منى)، وكان ينشد كثيراً ماقاله البرزلى رضى الله عنه.

**فلا الرفع أرجوه ولا الخفض أتقى لأنى منصوب لكل العوامل**

يشير إلى نفوذ تصاريف القدر وتحقيقه بذلك، فلا أمل له ولا أمنية فى شىء، ولا خوف من شىء، وقد استوت الحالات عنده كما قيل :

**أصبحت لا أمل ولا أمنية أرجو ولا موعدة أترقب**

وقد قيل لبعضهم فوض أمرك إلى الله تعالى، فقال «ليس لى أمر حتى أفوضه إليه» وهذا لتجرده عن وجوده وانقطاعه عن كسبه وعزمه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[1] و﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[2]. وهو موقف التحقيق والأخذ عن الإرادة بالغيبة فى الحقيقة والفناء فى التوحيد والتجرد عن التعلق بالحق والخلق، فإن رد إلى البقاء يكون كما قال الشاذلى «إنما يكون قلبه متعلقاً بالله» قال «ومادام قلبه متعلقاً بعلمه وحوله وقوته فليس براج الله حتى ييأس من الشكل متعلقاً بالله فى كل نفس، فحينئذ تجدد الروح والمدد من الله تعالى، ويقطع بذلك النور عن النظر إلى غير الله ويضيق عليه بالقرب من الله من حيث يجمعه عليه من غير التفات لسواه».

---

(١) الأنفال : ٢٤ .
(٢) آل عمران : ١٢٨ .

هذا وفى رواية «إن الله اشترى» إيماء رحمته تعالى لتنزله لعبده بالاشتراء، وملاطفة فى نسبة تسليمه له حاله، وكل العبيد له، والجائر عليهم منه وإليه.

لكن يترجح الاستفتاح الآخر الذى عليه العمل لأن آية الاشتراء تشير لنسبة شيء من العبد له وللعوض، وكل ذلك ينبو عن مذهب الصوفية أهل الحقيقة، ولذلك قال ابن وفا رضى الله عنه :

**لو لم أكن عبداً لكنت وهبته روحى وتلك هدية الفقراء**

وهو أبلغ فى العبودية من قول العارف ابن الفارض

**مالى سوى روحى وباذل روحه فى حب من يهواه ليس بمسرف**

وقد أومأت الأمر بتخصيص الاشترى من المؤمنين دون النبى إلى تخليص غير النبى مما فى النفس من الدعوى، ولا كذلك النبى، فإنه كامل مخلص من ذلك من أول نشأة، فهو متمحض للحرية من دعوى النفس بخلاف غيره ولو صديقا، فإنه يقع عليه الأسر من النفس حتى يخلص بالجزية.

* * *

**(ثم قوله فيه: ونسألك سر الأسرار المانع من الأضرار)**

قد فسره واضعه فى كلام له بأنه مدد العلم والمعرفة وروح القربة والاصطفاية والتخصيص والتولية، ويشير لسر البقاء.

وفى حزب الفتح لابن وفا رضى الله عنه «وأحينا بروح القرب، وانفحنا بروح الشوق، واحجب أبصارنا بنور جمالك عن مشاهدة الأغيار، وضيق علينا بقربك حتى نشاهدك أقرب إلينا من كل شيء».

(هذا) وقد قيل، وإنما كان حصول ذلك مانعاً من الأضرار، لأن ذلك

نور وارد من حضـرة الله، وسـر متلقى من الله، فله قـوة الدفع للبـاطل وللسوى جملة لمضادة النور الساطع للظلام، فلا يجامعه بل يذهبه ويمحو رسمه وأثره، ولا بقاء للأغيار مع سطوع أنواع المعارف والأسرار، وبذلك يحصل تبرى العبد من حوله وقوته على دوام أوقاته.

ويقال : من لم يكن له سر فهو مُصر.

وقال الشاذلى رضى الله عنه «من لم يتغلغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لايشعر».

وإنما سأل ذلك دون الوقوع فى الذنب جملة، لأنه متعذر من غير المعصوم كما قيل :

**من ذا الذى ما ساء قط ؟ ومن له الحسنى فقط ؟**

وأجيب قائله بأن قيل له

**محمد الهادى الذى عليه جبريل هبط**

ولما كان متعذرا من غير المعصوم، أثنى الله على من لم يصر بقوله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾[1] ولم يقل تعالى «ولا يفعلون» مع أنه مظهر العفو والغفران.

وقد قال عليه الصلاة والسلام «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيُغفر لهم»[2].

وفى دعاء لواضع الحزب رضى الله عنه «اللهم صلنى باسمك العظيم الذى لايضر معه شيء فى الأرض ولا فى السماء، وهب لى منه سرا لاتضر

---

(١) آل عمران : ١٣٥ .

(٢) جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم».

معه الذنوب شيئاً» يعنى لعدم الإصرار ولاندراج أسمائه وصفاته فى أسماء الحق وصفاته، فلا شعور له حينئذ بنسبة شىء إليه مما يجرى عليه.

وإليه يشير قول الإمام الجنيد رضى الله عنه «وكان أمر الله قدرا مقدوراً» لما قيل له «أيزنى العارف؟» - وفيه إيماء لسر الفرق بين معصية الولى والفاجر.

وقد قال الشيخ سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه «إن الفرق بين معصية المؤمن والفاجر من ثلاثة أوجه :

* المؤمن لايعزم عليها قبل فعلها.
* ولا يفرح بها وقت الفعل.
* ولا يصر عليها بعد فعلها.

والفاجر ليس كذلك.

وقال سيدى عبد الكريم الجيلى فى قصيدة له عينية :

أرانىَ كالآلات أنت محركى ... أنا قلم والاقتدار الأصابع
ولست بجبرى ولكن مشاهد ... فعال مريد ماله من يدافع
فآونة يقضى علىَّ بطاعة ... وحينا بما عنه تنهى الشرائع
كذلك ترانى كنت أترك أمره ... وآتى الذى ينهاه والجفن دامع
ولى نكتة غراء سوف أقولها ... وحق لها أن ترعويها المسامع
هى الفرق ما بين الولى وفاسق ... تنبه لها فالأمر فيه بدائع
وماهو إلا أنه قبل وقعه ... يخبر قلبى بالذى هو واقع
فآتى الذى يقضيه فى مراده ... وعينى له قبل الفعال تطالع
فكنت أرى فيها الإرادة قبل ما ... أرى الفعل منى والأسير مطاوع
فآتى الذى تهواه نفسى ومهجتى ... لذلك فى نار خبهتا الأضالع
إذا كنت فى حكم الشريعة عاصيا ... فإنى فى حكم الحقيقة طائع

يشير إلى مطالعة تنزل الأمر والقدر فى الغيب قبل انتشار ذلك على الجوارح.

وبذلك يتضح لك حديث «فحج آدم موسى»[١] وأن الذى جرى عليه كان بمطالعة قدر سابق وأنه ليس ذلك لغيره، إلا لمن كان شبيها به منه[٢]، كأن يكون من أهل الغيبة فى الباطن، بحيث يكون كالنائم، فإن لم يكن نائما فيعذر لما قهره من وارد الحق، واصطلمه من تصرفات الجبر، وذلك خاص بأهله، فليسلم لهم فى الجملة، على أنه قد يعمل بالقدر إن لم يكن على وجه الانتصار للنفس والاحتجاج لها لمناقضة ذلك بالعبودية، بل لمجرد إخبار عن قدرة الله تعالى عليه، ونفوذ تقديره فيه، مع شدة افتقار ودوام انكسار، وقد يحمل على ذلك حديث «حج آدم موسى».

---

(١) ورد فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «تحاجَّ آدم وموسى، قال موسى: أنت آدم أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك جنته، أغويت الناس، وأخرجتهم من الجنة» فقال آدم: «أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، تلومنى على أمر قدر على قبل أن أخلق؟» فحج آدم موسى ثلاثا:
وهذا الحديث الشريف يشير إلى «الشريعة» و «الحقيقة» فالشريعة ماورد به التكليف والحقيقة ماورد به التعريف.
يقول صاحب المفاخر العلية «الشريعة القيام بشروط العلم، والحقيقة الاستسلام لغلبة الحكم، والشريعة خطابه لعباده وكلامه الذى أوصله إلى خلقه بأمره ونهيه ليوضح لهم المحجة ويقيم به الحجة، والحقيقة تصريفه فى خلقه وإرادته ومشيئته التى يخص بها من اختاره من أحبابه، ويقضى بها على من أبعده عن بابه.. وقيل الشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده. المفاخر س ١٨٤ .

(٢) وقال صاحب المفاخر العلية. فإن قيل إن موسى عاتبه (أى آدم) على مخالفة الأمر، فاحتج هو بالحقيقة ونفوذ الحكم، فإن كان هذا الاحتجاج مقبولا فلم لايقبل من المشركين فى قولهم (لو شاء الله ما أشركنا) وفى قوله (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) فإنه احتجاج بالحقيقة ونفوذ الحكم، وهو احتجاج لايعارض به الشريعة!؟
«قال بعض العلماء. هذا كلام حق أرادوا به باطلا، فلا يقبل منهم، فإنهم لم يقولوه توحيدا ولاتسليما، فلو قال ذلك عاص تاب من ذنبه نادما على ماسلف، ثم عيره إنسان بذنبه بعد توبته ورجوعه إلى حال الصلاح فاحتج بالحكم، فذلك مقبول فى الشريعة. وقال لى أستاذى قل نؤمن بالقدر ولانحتج به إلا فى المصائب لا فى المعائب إلا للتائب»، المفاخر ص ١٨٥

وفى الحكم «إن القضاء والقدر غلبانى اعتذارا واعترافا، والله عز وجل أكرم من أن يرد عذر من اعتذر إليه أو يخيب أمل من اعترف بذنبه أو أقر بعجزه إليه».

* * *

وقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾(١) افتتح بهذه الآية لما تعطيه من قوة الرجاء للمتوجهين القادمين، فهى فى ذلك نظيرة حديث «من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً»(٢) ولما قيل «من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه برحمته» ولمقتضى آية ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٣) ففى ذلك ترغيب فى التوجه إلى الله والإقبال عليه «لله أفرح بتوبة عبده المؤمن» الحديث(٤).

---

(١) الأنعام : ٥٤ . نزلت هذه الآية فى الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم، فعلى هذا كان السلام من جهة النبى صلى الله عليه وسلم، وقيل إنه من جهة الله تعالى، أى أبلغهم السلام – وقال الفضيل بن عياض «جاء قوم من المسلمين إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنا قد أصبنا من الذنوب فاستغفر لنا فأعرض عنهم فنزلت الآية. ومنسوب لابن عطاء الله رسالة مخطوطة فى شرح هذه الآية بدار الكتب المصرية برقم ٨١ تصوف.
وكأنما أراد الشيخ رضى الله عنه باستهلال الحزب بهذه الآية الكريمة، أن يرشدنا إلى الجرعة الأولى من دواء النفوس الخبيثة، بخلع ثوب التمرد والعصيان، والإقبال بالتوبة والإيمان على الله والرسول، حتى يتم الظفر بسلامهما.
وفى هذه الآية الكريمة أيضا إشارة إلى التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تتحقق رحمة الله عز وجل لقوله تعالى : «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما».

(٢) الحديث عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال : «إذا تقرب العبد إلى شبرا تقربت إليه ذراعا، وإذا تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا، وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة».

(٣) الأعراف : ٥٦ .

(٤) الحديث لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة متفق عليه.

اللهم إنك تعلم أنى بالجهالة معروف وأنت بالعلم موصوف، وقد وسعت كل شىء من جهالتى بعلمك فسع ذلك برحمتك كما وسعته بعلمك واغفر لى إنك على كل شىء قدير.

يا الله يامالك ياوهاب هب لنا من نعماك ماعلمت لنا فيه رضاك، واكسنا كسوة تقنا بها من الفتن فى جميع عطاياك وقدسنا عن كل وصف يوجب نقصا مما استأثرت به فى علمك عمن سواك.

# إنى بالجهالة معروف

- اعتراف العبد بجهالته
- وسع علمه كل شىء
- وسعت رحمته كل شىء
- دعوات المكروب
- دعاء فاطمة الزهراء
- العافية ومعناها
- لفظ الجلالة وحظ العبد منه
- أصدق كلمة قالتها العرب

**(قوله :الر. كهيعص. حمعسق)**[1] المتبادر أنه قصد فواتح السور القرآنية، ويحتمل أنه لم يقصد قرآنا، وإنما جرى على ماوافق نظم القرآن. وقال بعضهم «معرفة الحروف والأسماء من خصائص علوم الأنبياء من حيث كونهم أولياء». وكذلك تقع المشاركة فى العلم بها بين الأنبياء والأولياء وهى من علوم الكشف، فلا فائدة للتصرف فيها والكلام عليها ببضاعة العقل. بل لايعرفه من جهله، ولايجهله من عرفه، وكل علي حسب مافتح له، ولذلك يتفاوت فيها أهلها، ويقع الاختلاف منهم فيما يشيرون إليه فيها، تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض.

* * *

وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما فى (كهيعص) إن الكاف من (كافى) والهاء من (هادى) والياء من (حكيم) والعين من (عالم)[2] والصاد من (صادق).

وقال بعضهم : وكما يستدل بالاسم على الذات، كذلك يستدل بكل حرف من حروف الاسم على حقيقة من حقائق الذات ووصف من أوصافها إذا أتى أو فعل ولايقتصر فى دلالة الحرف على صفة واحدة من الصفات بل كل صفة كانت مفتتحة بذلك الحرف دل عليها ذلك الحرف، وقاعدة ذلك إن كان اسم مدح فكل حرف من حروفه يدل على صفة شريفة، وإن كان اسم ذم فكل حرف منه يدل على صفة مذمومة وذلك من تيسير تعليم الله آدم عليه السلام الأسماء كلها ونطقه بها بجميع اللغات، فكل اسم فهو دال على ماوضع له بكلمة وببعضه والله أعلم.

---

(١) (ألر) أول سورة يونس و (كهيعص) أول سورة مريم و (حم . عسق) أول سورة الشورى - ونسخة الترمذى من الفاسيين وهى المشهورة بدأت بـ(ألر) وفى بعض النسخ بـ(ألم) بدله وعليها علامة الصحة - كذا فى شرح الزبيدى.

(٢) فى نسخة والياء من (يا الله) والعين من (عليم).

وعن ابن عطية: سأل رجل النبى ﷺ عن (حم) فقال: «بدء أسماء وفواتح سور» انتهى.

قال الهروى: وفى الحديث «إذا بيتم فقولوا حم لاينصرون» قال أبو عبيدة «كان المعنى اللهم لاينصرون» انتهى.

وذكر فى القوت عن على كرم الله وجهه «يا كهيعص أعوذ بك من الذنوب التى توجب النقم وتغير النعم أو تهتك العصم، أو تحبس غيث السماء، أو تزيد من الأعداء. انصرنا على من ظلمنا» وهو مما يشير لكونها أسماء الله فيستغاث بها(١).

ونقل سيدى عبد النور عن سيدى عبد الله بن سلطان وكان من أصحاب الشاذلى رضى الله عنه أنه قال «رأيت فى النوم كأنى أختلف مع بعض الفقهاء فى تفسير قوله تعالى (كهيعص . حمعسق) بما أجرى الله تعالى على لسانى أو قاله فقلت هى أسرار بين الله تعالى وبين رسوله ﷺ فكأنه قال (كاف) أنت كهف الوجود الذى يأوى إليه كل موجود (ها) هنيئا لك الملك وهيأنا لك الملكوت (يع) ياعين العيون (ص) صفاتى أنت، من يطع الرسول فقد أطاع الله (ح) حييناك (م) ملكناك (ع) علمناك (س) سررناك (ق) قربناك. قال فنازعونى فى ذلك ولم يقبلوا منى، فقلت نسير إلى النبى ﷺ ليفصل بيننا فسرنا فلقينا النبى ﷺ فقال لنا: «الذى قال محمد بن سلطان هو الحق» (انتهى).

وفى نوادر الأصول: أن فواتح السور فيها إشارة حشو مافى السور ولايعلم ذلك الا حكماء الله فى أرضه وأوتاد أرضه، وصلوا إليه فيه ونالوا

(١) وعن على كرم الله وجهه هو اسم الله عز وجل، وكان يقول (يا كهيعص اغفر لى) ذكره الغزنوى. وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقال السدى «هو اسم الله الأعظم الذى إذا سئل به أعطى، وإذا دعى به أجاب». وقال قتادة «هو اسم من أسماء القرآن» ذكره عبد الرزاق عن معمر عنه.

هذه الحكمة وهم نجباء الحكماء قوم وصلت قلوبهم إلى فردانية، تناولها هذا يعلم من الفردية وهو علم حروف المعجم وبهذه الحروف لغير العلوم كلها، وبالحروف ظهرت أسماؤه حتى غيروها بالألسنة (انتهى).

وفى تفسير الورتجينى: الحروف المقطعة رموز معانى سور القرآن لايعرف تلك الرموز إلا الربانيون. (انتهى).

ويرد عليه أنه ورد رمز متحد فى سور متعددة مختلفة المعانى نحو (الر)[1] و(حم) ونحو ذلك ويجاب بأن الرمز كالمشترك بين معان، وقد قيل فى ختم ترجمة (حمعسق)[2] بالقاف أنه لما بسط رحمته وذكر

---

(١) روى على بن الحسين عن أبيه عن يزيد أن عكرمة حدثه عن ابن عباس (الر) و(حم) و(نون) حروف الرحمن مفرقة. وعن ابن عباس أيضاً: معنى (الر) أنا الله أرى. وقال الحسن وعكرمة (الر) قسم. وقال سعيد عن قتادة (الر)اسم السورة وقال وكذلك كل هجاء فى القرآن.

(٢) سئل الحسين بن الفضل: لم قطع (حم) من (عسق) ولم تقطع (كهيعص) و(المر) و(المص) فقال لأن (حم عسق) بين سور أولها (حم) فجرت مجرى نظائرها قبلها وبعدها، فكأن (حم) مبتدأ و(عسق) خبره، ولأنها عدت آيتين وعدت أخواتها اللواتى كتبت جملة آية واحدة. وقال القشيرى: لو فصل هذا ووصل هذا لجاز - وفى قراءة ابن مسعود وابن عباس (حم - سق).

وقال ابن عباس : وكان على رضى الله عنه يعرف الفتن بها. قال رجل لابن عباس وعنده حذيفة بن اليمان : أخبرنى عن تفسير قوله تعالى (حم . عسق) فأعرض عنه حتى أعادها عليه ثلاثا فأعرض عنه. فقال حذيفة بن اليمان: أنا انبئك بها، قد عرفت لم تركها، نزلت فى رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله أو عبد الله، ينزل على نهر من أنهار المشرق، يبنى عليه مدينتين، يشق النهر بينهما شقا، فأراد الله زوال ملكهم، وانقطاع دولتهم، يبعث على إحداهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة، فتحترق كلها كأنها لم تكن مكانها فتصبح صاحبتها متعجبة كيف قلبت!! فما هو إلا بياض يومها حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد، ثم يخسف الله بها وبهم جميعا، فذلك قوله (حم . عسق) أى عزمة من عزمات الله وفتنة وقضاء. (حم) حم و(ع) عدلا منه (س) سيكون و(ق) واقع فى هاتين المدينتين.

وذكر القشيرى، واللفظ للثعلبى : أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية عرفت الكآبة فى وجهه، فقيل له : يارسول الله، ما أحزنك؟ قال أخبرت ببلايا تنزل

=

ملكه وعظمته وسيادته وتقديسه طمعت القلوب فى الأمن من مكره، فذكرهم قهره ليذكروا سطوته لتحصل لهم حالة بين الخوف والرجاء وتسمى الإشفاق، وجلب الحروف الأخرى مفتتحة (بالكاف) الدالة على الكفالة والكفاية والكرم ليعلمك أن أرزاق العباد مضمونة وأنهم عياله وأن من مقتضى كرمه دارت عليهم أرزاقهم و (بالهاء) الدالة على اسم الهادى إشارة إلى أنه يهدى من يشاء من عباده ثم ختم (بالصاد) الدالة على صدقه فى إنفاذ ماقضاه من وعده ووعيده (انتهى).

وقال الشيخ البلخى فى شرح حزب البحر: اعلم أن كل سورة من القرآن لاسيما السور المفضلة كالبقرة وآل عمران ويس والسجدة «تبارك وغيرها لها أنوار وحقائق يشاهدها أولياء الله تحيط بركتها وأنوارها وأسرارها بالمؤمنين، ولك سورة خصوصية خصها الله عز وجل بها[1]

=

من خسف وقذف ونار تحشرهم وريح تقذفهم فى البحر وآيات متتابعات متصلات بنزول عيسى وخروج الدجال.

وروى جرير بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «تبنى مدينة بين دجلة ودحيل وقطربل والصراة، يجتمع فيها جبابرة الأرض، تجئ إليها الخزائن يخسف بها – وفى رواية بأهلها – فلهى أسرع ذهابا فى الأرض من الوتد الجيد فى الأرض الرخوة.

وروى نافع عن ابن عباس: (الحاء) حلمه و(الميم) مجده، و(العين) علمه و(السين) سناه و(القاف) قدرته أقسم الله بها وعن محمد بن كعب: أقسم الله بحلمه ومجده وعلوه وسناه وقدرته ألا يعذب من عاذ بلا إله إلا الله مخلصا من قلبه – وقال جعفر بن محمد وسعيد بن جبير (الحاء) من الرحمن و(الميم) من المجيد و(العين) من العليم و(السين) من القدوس و(القاف) من القاهر – وقيل: هذا فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم فـ(الحاء) حوضه المورود، و(الميم) ملكه الممدود و(العين) عزه الموجود و(السين) سناه المشهود و(القاف) قيامه فى المقام المحمود وقربه من الملك المعبود.

وقال ابن عباس: ليس من نبى صاحب كتاب إلا وقد أوحى إليه «حم. عسق» فلذلك قال «كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك».

(١) أوضح الإمام الحبر العلامة الشيخ داود الشاذلى المعروف بابن ماخلا رضى الله عنه فى كتابه (اللطيفة المرضية بشرح حزب الشاذلية) سر اختيار الولى لآيات معينة من سور متفرقات فقال:

=

وآثار من حفظه وبركته، وربما يأتي عذاب من فوقه فيكون نور يس وقاية له، وربما أحاط به فيكون نور تبارك مانعا له، وربما قصده عبد بسوء فكفاه الله تعالى بكهيعص وحماه بحمعسق. وقد أعلم الله عز وجل أن العذاب

=

«ولخصوص هذه الآيات ومنافعها وترتيبها فضل عظيم لايطلع عليه إلا العارفون بالله أهل التخصيص والعناية كشفا ومشاهدة، ويعلمون شيئا من تأثيراتها وعجائب قدرة الله تعالى عند تلاوتها، ونور من الله تعالى وهداية».

ثم يقول ابن ماخلا «ويحتمل أن يكون في جمع هذه الآيات والآثار ونظمها هكذا خصوص تأثير لمنع العدو (يقصد الشيطان) ومن التسليط، أطلع عليه أولياء الله تعالى، وترتيب القرآن العظيم لهداية العامة ونور القلب، وتعريف سلوك طريق الآخرة وتهذيب النفوس وخصائص لايحصيها إلا الله تعالى مجموعا بجملة كلمة. وقد يكون للآية وحدها أثر مالم ينضم إليها غيرها، فإذا انضم ذهب ذلك الأثر الخاص وجاء أثر غيره، هذا ظاهر كما تأتي آية رحمة ينشرح لها القلب وينبسط، ثم يأتي بعدها آية عذاب فينقبض لذلك. والتأثير في القلوب كالتأثير في الظواهر. ومن ذلك فقد شرع أن يقول عند الذبح (بسم الله) ولايقول (الرحمن الرحيم) لمناسبة الموطن. وقد قرأ النبى صلى الله عليه وسلم أول سورة يس فغشيت عنه أبصار الذين جلسوا لاغتياله، وما يدريك أنه لو قرئت بقية السورة لخصوص أثر آية فيها أخرى لاتدفع ذلك الأثر، ولتخصيص النبى صلى الله عليه وسلم بعض السورة مايدل على ذلك. ومن ذلك ما جاء أنه يقرأ على المصروع بآخر آية من سورة المؤمنين ولم يقل بكل السورة. فإياك أن تجول بعقلك فتقول السورة كلها مشتملة على جزئها. والقرآن كله مشتمل على كل الفوائد، فليس للمقول هنا مجال والأمر أعظم من ذلك. وليس هذا بوضع قياس، وقد تبين أنه قد يكون للشيء خصوصية بانفراده لاتكون له حال جمعه، وقد تقرر في العادة أن الدواء إذا انفرد يؤثر أثرا خاصا لايؤثر حال تركيبه مع غيره. وكذلك إذا ركبت الأدوية تركيبا خاصا، كالشيء وما يقاربه في المزاج ويقويه، أثرت تأثيرا خاصا، وإذا اجتمعت مع غيرها مما يضادها تدافعت خواصها، وصار لها تأثير حصول أصل الصحة واعتدال المزاج، وذلك ظاهر كميل المزاج إلى الحرارة والبرودة.

«وجواب آخر: يحتمل أن يكون الشيخ رضى الله عنه اطلع من الله تعالى على وجه يجوز له أنه لو قرئ فيها ما أخذت. لا لخصوصية في الحزب، بل كرامة لولي. ويجوز أن يكرم الله تعالى وليا من أوليائه، ويحفظ لأجله بلدة أو إقليما – وقد نقل عن الشيخ أبى العباس الراسى ويعرف بالمرسى رضى الله عنه نزيل الإسكندرية أنه كان يقول: هذا الساحل محفوظ مادمت حيا يعنى ساحل الإسكندرية إلى دمياط، حتى كان يقال إن الفرنج يأتون بمراكبهم لقصد القتال، فيحبسون فيقولون:

– مادام هذا القسيس ها هنا، لاسبيل لنا إليهم!!

=

مواجه للعباد من فوقهم ومن تحت أرجلهم لولا رحمته، والقرآن رحمة كمال قال الله تعالى «هدى ورحمة». ثم قال: ويحتمل أن يكون الشيخ أراد بـ (يس) حروف هجاء؛ غير قاصد التلاوة، وقد وقع فى كلامه ذكر

---

= وليلة مات نزل الفرنج إلي دمياط النوبة المشهورة، وذلك مشهور من أمره، ومن هذا الجنس كثير أكرم الله تعالى به أولياءه»

«ومما يبين ذلك بيانا ظاهرا أن القرآن العظيم مشتمل على أسماء عظيمة لها خصائص وآثار، قال العارفون بالله تعالى إن فيه أسماء يمشى بها على الماء. وأسماء يسار بها فى الهواء وغير ذلك، وبالجملة فلا إشكال أن فيه الاسم الأعظم لأنه المحتوى على كل علم، فلا بد أن يكون فيه الاسم الأعظم، وهو يشتمل ذلك كله. وقد ذكر علماء التفسير والنقل، وعلماء الحقيقة أيضا أن فيه الاسم الأعظم، وربما عينوا موضعه، وجاءت فيه أيضا أحاديث، ومع ذلك فكثير من الناس يقرأ القرآن كله، ويدعو بالاسم الأعظم الذى جاءت فيه الآثار، ولايجد أثر الإجابة ظاهرا، وما ذلك إلا أنه يسر فى التالى، وأمر وراء عقل العقلاء».

«وكذلك أيضاً تسمع القرآن من الرجل الصالح، فترى له أثرا وفائدة، وتسمعه من غيره فلا يؤثر عندك، فنعلم بذلك أن الأمر خلاف ماتظن، والحق تبارك وتعالى خص أولياءه بما هو فوق العقول.

«وأخبرك يا أخى بأمر عجيب بعد كتابتى هذا الكلام فى هذا الوجه المذكور فيه هذه المسألة بيوم أو يومين عند ذكر مثال الأدوية، وأنه قد يكون للقرآن خاصية ولمفرداته خواص لاتكون للمجموع. رأيت فى كتاب فيه أخبار الصالحين:

«قال أبو الحسن بن سالم إن لله اسما يمشى به على الماء واسما يطار به فى الهواء واسما لوكتبه على ريشة ثم طرح فى نهر انشق الماء إلى الأرض ومضى الاسم فى الأرض - ثم قال وفى يس اسم يبرأ به الأكمه والأبرص، وفيه اسم من دعا به طار فى الهواء، قال ولله عباد أودعهم هذه الأسماء منهم الصديقون والأبدال والأوتاد والقطب وهى فى القرآن مجتمعة الأحرف ومثلها متفرقة مثل (الر حم ن) مجموعها (الرحمن). قيل له أرأيت لو دعا إنسان بيس والقرآن كله أن يعطى شيئا أيمكن ذلك؟ قال: يابنى أرأيت لو جاء رجل إلى دكان صيدلانى فأخذ كل شىء عنده فشربه لدوائه أكان ينفعه ذلك؟ كذلك هذه الأسماء لاتفتح إلا لمن عرفها بأعيانها وعرف كل اسم ومايصلح له، فإذا كان كذلك ودعا بها استجيب له على المكان بإذن الله تعالى» انتهى مانقلناه عن ابن ماخلا.

ويمكن القول تعليقا على ماتقدم، إن لكل حالة دعاء ونداء، كما أن لكل مزلاج مفتاحا.

حروف هجاء فى قوله «وحم سران من سرك» ونون صاد ونحوه، وهذا من معرفة خصائص الحروف، وعلمها المختص بها للأولياء. (انتهى).

ولكن يرجح قصده فواتح السور قوله فى بعض أحزابه بحرمة السبعين والثمانية[١] وأسرارهما، ثم قال اكفنى بهم السبعين والثمانية؛ فإن هذا العدد هو عدد فواتح السور كما ألهمت ذلك بحمد الله تعالى[٢].

(١) ورد هذا فى حزب الفتح المشهور المعروف بالبركات، وبه فتح على الإمام أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه، ويسمى حزب الأنوار أيضا، وهو رواية ابن الصباغ فى درة الأسرار، وقراءته تكون بعد الصبح وقد جاء به :
«يامن به ومنه وإليه كل شىء، أسألك بحرمة الأستاذ، بل بحرمة النبى الهادى، وبحرمة الاثنين والأربعة، وبحرمة السبعين والثمانية، وبحرمة أسرارهما منك إلى محمد رسولك، وبحرمة سيدة آى القرآن...الخ».

(٢) راجعنا عدد حروف أوائل السور، فثبت أن مجموعها ثمانية وسبعون حرفا.
(ألم) ١٨ لأنها ٣ حروف وذكرت ٦ مرات فى كتاب الله.
و(ألر) ١٥ حرفا لأنها ٣ حروف وذكرت ٥ مرات.
و (طسم) ٦ حروف لأنها ٣ حروف وذكرت مرتين.
و (حم) ١٢ حرفا لأنها حرفان وذكرت ٦ مرات.
و (المص) ٤، و(المر) ٤، و(كهيعص) ٥، و(طه) حرفان، و(طس) حرفان، و(يس) حرفان، و(ص) حرف واحد، و(حمعسق) ٥ حروف، و(ق) حرف، و(ن) حرف.

الر
كهيعص
حمعسق

رب احكم بالحق وربنا الرحـــمن المستعان على ماتصفون.

طه : ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى. تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى. الرحمن على العرش استوى. له مافى السموات وما فى الأرض ومابينهما وماتحت الثرى. وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى. الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى.

# أوائل السُّوَر

- ماقيل فى أوائل السور
- فائدة نبوية عند لقاء العدو
- خصوصية وسر كل سورة وآية

**(قوله وقد وسعت كل شيء من جهالتي بعلمك فسع ذلك برحمتك كما وسعته بعلمك)** هذا انعطاف منه ورجوع إلى ماافتتح به من صريح قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾[1]، واقتضاء الجميل وعده تعبدا له وتذللا إليه وتملقا بين يديه يعني اعترافه بالجهالة المؤدية لارتكاب السوء مع علمه تعالى، وتنزيهه عما اتصف به العباد من الجهل المطلق لاتصافه تعالى بالعلم الشامل المطلق[2] ثم سأل الله تعالى أن يسع جهالته المطلقة برحمته المطلقة كما وسع ذلك بعلمه المطلق وذلك مقتضى لتغطية نقص العبد بكمال ربه فيصير به وإليه ومندرجاً في مادته بإمداده وتأييده كما قال: «وأدرج أسمائي تحت أسمائك» وصفاتي تحت صفاتك[3] وكما في حديث التقريب، وكما قال في الحكم «لو أنك لاتصل إليه إلا بعد محو مساويك، وترك دعاويك، لم تصل إليه أبدا، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته، فوصلك إليه بما منه إليك، لا بما منك إليه».

---

(١) الأنعام: ٥٤.

(٢) نقول إن المرء بالجهالة معروف لقوله سبحانه «وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا» والله موصوف بالعلم لأنه السميع العليم. فقول الأستاذ «وسعت كل شيء من جهالتي» أي آثامي وذنوبي. قال تعالى «إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة» وقال سبحانه «... أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم».. وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني. اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي. اللهم اغفر لي ماقدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني. أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير».

(٣) من أدعية الأستاذ - أي الشيخ أبي الحسن الشاذلي - رضي الله عنه: «اللهم صلني باسمك العظيم الذي لايضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، وهب لي منه سراً لاتضر معه الذنوب شيئاً، ثم يقول في الدعاء «وأدرج أسمائي تحت أسمائك وصفاتي تحت صفاتك وأفعالي تحت أفعالك، درج السلامة وإسقاط الملامة وتنزل الكرامة وظهور الأمانة» رواه ابن عطاء الله في لطائف المنن وذكره ابن الصباغ في درة الأسرار والمفاخر العلية ص ٢١٨ و٢٤٦.

وفى بعض أدعيـة واضع الحزب رضى الله عنه «وأعطنى من سعة رحمتك على سعة علمك وهى التى لم تدع للخير مطلبا ، ولا للشر مهرباً»[١] ويقول أثناء الحزب «أسألك أن تعطينا خير مانفذت به قدرتك وتعلقت به مشيئتك وأحاط به علمك واكفنا شر ماهو ضد لذلك» وهو إشارة إلى أن يتولاه الله فى جميع أموره حتى يكون قائما بتدبيره مراعيا لشئونه ومغتنيا به فى تحصيل خيوره ودفع شروره على وجه لايكون فى الإمكان أكمل وأليق لحاله منه.

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام «اللهم كلاءة ككلاءة الوليد»

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام أيضاً «اللهم ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله ولاتكلنى إلى نفسى طرفة عين»[٢] زاد فى الحديث «ولا أقل من ذلك».

وفى الحديث : «إذا سألتم الله فاسألوه العافية»

قال سهل بن عبد الله «أجمع العلماء رضى الله عنهم أن تفسير العافية «أن لايكل الله العبد إلى نفسه وأن يتولاه»

---

(١) ورد هذا ضمن تعوذ للأستاذ يصلح أن يقال فى أول الليل وفى أول النهار وفى أثنائهما. وأول هذا الدعاء «نعوذ بعزة الله وقدرته وبكلماته التامات من شر ما كان وماهو كائن فى هذا اليوم وفيما بعده إلى يوم القيامة وفى الدنيا والآخرة».. ثم يقول «أنت ربى وعلمك حسبى فنعم الرب ربى ونعم الحسب حسبى، فأعطنى من سعة رحمتك على سعة علمك، وهى التى لم تدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً» المفاخر العلية ص ٢٤٩ .

(٢) روى الترمذى عن أنس أنه كان إذا أكربه رسول الله أمر قال «يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث» . وفى سنن أبى داود عن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت» - وأخرج النسائى فى اليوم والليلة والحاكم من كلام أنس. قال صلى الله عليه وسلم لفاطمة الزهراء رضى الله عنها «يافاطمة ما يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به؟ أن تقولى : ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله».

وفى الحديث أيضاً «اسألوا الله التمكين والعافية».

قال فى نوادر الأصول «عليه العفو فى الآخرة والعافية فى الدنيا وكل واحد منها مشتق من صاحبه ومرجعهما إلى أن لاتخذل حتى تقع، وأن لاتصيبك الشدائد والبلاء والمكاره فى الدنيا وكذا فى الآخرة» انتهى.

وقد قال سيدى أبو العباس رضى الله عنه «إذا سألتم الله تعالى فاسألوه العافية من حيث يعلمها عافية».

وسيأتى «ولا نسألك دفع ماتريد ولكن نسألك التأييد» والكلام عليه مما ذكرناه أن مطلوبه رحمة خاصة مرجعها لمحبة الله لعبده واعتنائه فى كل أموره التى من جملتها، بل وهو أهمها، تقريبه من جنابه وتأهيله لحضرة قدسه برفع حجابه وإدامة ذلك له حتى يكون فى كل أموره بربه وحول الله وقوته لا بنفسه وقوته وحوله، وحينئذ يتضح ويتجه إفادة هذا الطلب وفائدته غاية ولايتطرق إليه من تحصيل الحاصل لقوله تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[1]. وكذا قوله ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[2] لأن هذا الوسع عام صادق بالإيجاد ثم بالإمداد العام، وما نحن فيه طلب إمداد خاص ثم مع كونه خاصا مشروطا فيه أن لايكون ثم أخص منه لتعليقه على وسع العالم وإحاطته فلا يتصور أنفع من هذا الدعاء ولا أبلغ فى الإفادة.

* * *

(قوله «يا الله») يجوز فيه قطع الهمزة فى كل حال من نظم ونثر وهو مما اختص به هذا الاسم الكريم كما لاينادى مافيه الألف واللام إلا هو لما كثر تكراره فى الكلام والدعاء جاز فيه مالم يجز فى غيره ثم ينبغى كما

---

(١) الأعراف : ١٥٦ . (٢) غافر : ٧ .

قال الإمام حجة الإسلام الغزالى رضى الله عنه أن يكون حظ العبد من هذا الاسم التوله قال وأعنى أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله تعالى لايرى غيره ولايلتفت لسواه ولايرجو ولايخاف إلا إياه، وكيف لايكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم أنه الوجود الحقيقى وكل ما سواه فان وهالك وباطل إلا به كما رواه ﷺ حيث قال «ألا كل شىء ما خلا الله باطل» متمثلا بقول الشاعر ومصدقا له(١).

* * *

(**قوله «من نعماك»**) بضم النون والقصر وهى النعمة، قال الجوهرى وإن فتحت النون مددت، وسيأتى فى الحزب وأوزعنا شكر نعمائك بالفتح والمد والله أعلم.

* * *

(**قوله «واكسنا كسوة تقنا بها»**) الرواية جزم تقنا بحذف الياء على الجواب للدعاء، ونظيره قوله تعالى إخبارا عن موسى عليه السلام فى دعائه ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقْنِي ﴾(٢) وقوله تعالى إخبارا عن زكريا عليه السلام فى دعائه أيضاً ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثْنِي ﴾(٣) على قراءة الجزم فيهما؛ على أن الاجتزاء بالكسرة عن الياء كما فى المعتل لغة ورد بها القرآن والله أعلم(٤).

* * *

(١) الشاعر هو لبيد بن ربيعة من المخضرمين عاش فى الجاهلية والإسلام، والبيت هو :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل    وكل نعيم لامحالة زائل

وقد قال صلى الله عليه وسلم «أصدق كلمة قالتها العرب قول لبيد ألا كل شىء ماخلا الله باطل» رواه الشيخان عن أبى هريرة ورواه أحمد والترمذى.

(٢) الآية ٣٤ من سورة القصص.

(٣) مريم : ٥ - ٦.

(٤) يقول الزبيدى فى شرحه لهذه الفقرة :

(واكسنا) بسكون الكاف وضم العين وقد يغلط هنا من لا دراية له بالتصريف. =

(**قوله «واغفر لى»**) سقط عند سيدى عبد النور فى خطه وثبت عند ابن الصباغ والله أعلم.

(**قوله «وقد سنا عن كل وصف»**) فى الصباغ وفى خط سيدى عبد النور أيضا وقد سنا عن كل وصف يعنى بالكسوة[1].

(**قوله «يوجب نقصا»**) خفيا تختص بعلمه فضلا عما كان جليا. ومن دعائه: «اللهم اغفر لنا ماعلمه البشر من خلقك، واغفر لنا ما استأثرت به عنا وعن جميع خلقك»

=

(كسوة) أى لباسا والمعنى حلنا حلية.

(تقنا) مجزوم بحذف الياء على جواب الدعاء، وفى بعض النسخ (تقينا) بإثبات الياء، على أن الجملة صفة لكسوة والمعنى تحفظاً.

(بها من) كل – (الفتن) الكائنة.

(فى جميع عطاياك) الظاهرة والباطنة، فمن الظاهرة المال والأهل والولد، والفتن الحادثة من هؤلاء شديدة الضرر على المؤمن. ومن الباطنة التوحيد وهو بحر لاساحل له وأوحاله كثيرة هى فتنة.

(١) قال الزبيدى فى شرحه (أى نزهنا عن كل ذميم من صفات النفس).

يا الله ياعظيم ياعلى يا كبير أسألك الفقر مما سواك والغنى بك حتى لانشهد إلا إياك والطف بنا فيهما لطفاً علمته يصلح لمن والاك واكسنا جلابيب العصمة فى الأنفاس واللحظات واجعلنا عبيداً لك فى جميع الحالات. وعلمنا من لدنك علماً نصير به كاملين فى المحيا والممات.

اللهم أنت الحميد الرب المجيد الفعال لما تريد تعلم فرحنا، بما إذا ولماذا وعلى ما فرحنا وتعلم بما ولماذا وعلى ماذا حزننا كذلك وقد أوجبت كون ما أردته فينا ومنا ولا نسألك دفع ماتريد ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت أنبياءك ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك إنك على كل شىء قدير.

## الفقر والعصمة والعلم والتأييد

- الفقراء أغنى خلق الله
- لما افتقر أبو الحسن أخذ غنى الدنيا والآخرة
- هل تطلب العصمة من كل الذنوب؟
- العلم اللدنى وكيف تصل إليه؟
- المرتبة العلمية التى وصل إليها على كرم الله وجهه
- لماذا العلم النافع؟.. العلم كالدراهم تضر وتنفع
- التأييد بروح منه

**(قوله «نسألك الفقر مما سواك والغنى بك حتى لانشهد إلا إياك») قال في القصد. قيل لي. أتريد أن يغنيك الله حتى يغنى بك من أحب أو توسل أو دعا أو سأل؟ قلت. كيف لي بذلك؟ قال لا تتخذ منهم عدوا ولاحبيبا، انظر تمامه.**

**وفي حزب النور له. حسبي الله وأنا برئ مما سوى الله[١].**
**وفي الحكم. تحقق بوصفك يمدك بوصفه، تحقق بفقرك يمدك بغناه.**

**يعني إن من صح فقره إلى الله بانقطاعه إليه[٢] وإياسه من سواه، ومن جملة ذلك نفسه وحوله صح غناه بربه، وذلك إنما يتحقق بغيبته عن فقره في فقره، وإلا كان معتمدا به ومنقطعا عن الله بكسبه وإلى ذلك تشير حكاية سيدى عبد السلام أبى الحسن المشهورة[٣] وبالجملة فالغنى به تعالى يفيد العمل له لا لشيء والرجا منه لابشيء ولايرى للنفس نسبة لا في نفي ولا في وجود شيء، وقد لوح إلى ذلك كله بقوله حتى لانشهد إلا إياك والله أعلم.**

---

(١) ورد في حزب الفتح المشهور المعروف بالبركات - المفاخر العلية ص ,٢١٤

(٢) المقصود من «الفقر مما سواه» فقر القلب من كل شيء يشغله سوى محبة الله وذكره وحضوره وكل مايقرب إليه.
قال أبو على الروزبارى: سألنى أبو بكر الرفاق فقال: يا أبا على لم ترك الفقراء أخذ البلغة في وقت الحاجة؟ قال: فقلت: لأنهم مستغنون بالمعطى عن العطاء. فقال: نعم، ولكن وقع لى شيء آخر. فقلت : هات أفدنى ماوقع لك؟ فقال: لأنهم قوم لاينفعهم الوجود إذ الله فاقتهم، ولاتضرهم الفاقة إذ الله وجودهم» اللمع للطوسى ص ,٧٤
وحكى عن سهل بن على بن سهل الأصبهانى أنه كان يقول: حرام على كل من يسمى أصحابنا الفقراء، لأنهم أغنى خلق الله عز وجل.

(٣) جاء في المفاخر العلية أن الأستاذ رضى الله عنه، قال يصف لقاءه الأول بشيخه الولى القطب الشيخ عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه.
ولما قدمت عليه وهو ساكن برباطه فى رأس الجل اغتسلت فى عين فى أسفل الجبل وخرجت عن علمى وعملى، وطلعت إليه فقيراً وإذا به هابط على، فلما رآنى قال مرحبا بعلىّ بن عبد الله بن عبد الجبار وذكر لي نسبى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال لى : (يا على طلعت إلينا فقيرا عن علمك وعملك، أخذت منا غنى الدنيا والآخرة) فأخذنى منه الدهش، فأقمت عنده أياما إلى أن فتح الله على بصيرتى ورأيت له خرق عادات من كرامات وغيرها» المفاخر العلية ص ١٤ .

(**قوله «واكسنا جلابيب العصمة..الخ»**) هو كقوله فى حزب البحر نسألك العصمة فى الحركات والسكنات.. إلى آخر ماذكرناه من أسباب الاحتجاب عن الغيب، ومراده العصمة اللغوية وهى المنع مما ذكر بالستر من الوقوع فيه، وذلك جائز فى حق النبى وواجب له وللملائكة.

وقد قال العراقى - رحمه الله - على حديث (والسلامة من كل إثم) «فيه جواز سؤال العصمة من كل الذنوب، وذلك جائز فى حق غير الأنبياء وواجب لهم، وسؤال الجائز جائز» انتهى.

على أن العصمة فى حق النبى لا تختص بما ذكر بل تعم كل ما لايليق بمنصب نبوته الذى هو أخص منه حظ الولى مما ينافى ولايته فقط، ثم هذا الطلب من جملة مايندرج فيما تقدم من طلب التقديس وغيره، ولكنه تفصيل بعد إجمال.

وسيقول أيضاً «واكسنا من نورك جلابيب العصمة»(١) والجلابيب جمع جلباب وهى الملاءة، استعارة للستر العام والله أعلم.

وقال الشيخ فى شرح حزب البحر؛ عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واجبة لهم شرعا، قال بعض العلماء؛ وعقلا من دونهم ليس كذلك بل جائز، وأيضاً بأن عصمة غيرهم تُسأل لتنال، وعصمتهم عليهم الصلاة والسلام حاصلة من غير سؤال بعد أن قرر أن الشركة فى الألفاظ الإضافية والصفات الظاهرة لايلتزم منها شركة بين المتصفين لتباين الوصفين حال قيامهما بالمتصفين، فكل على قدره، فلا مساواة. وفى الإحياء بعد كلامه رضى الله عنه على التأييد وأنه عبارة عن تقوية

---

(١) العصمة هنا فى رأيى - ليست العصمة عن الآثام والذنوب فحسب. ولكنها أيضاً العصمة عن الانشغال عنه سبحانه فى الأنفاس واللحظات أى النظرات.

قال الشبلى رضى الله عنه «التصوف هو العصمة عن رؤية الكون» وقال أيضاً «التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك».

قال الله تعالى «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا». وقال سبحانه «وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله».

البصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج، فكأنه جامع للهداية التى مرجعها للبصيرة العلمية الكاشفة لما عليه الشىء فى حقيقته، وللرشد الذى مرجعه إلى الإرادة الباعثة إلى جهة السعادة والتسديد الذى مرجعه إلى القدرة على توجيه الحركات إلى صوب المطلوب وتيسيرها عليه، قال ويقرب من التأييد الجامع لما ذكر العصمة، وهى عبارة عن وجود إلهى يرسخ فى الباطن يقوى به الإنسان على تحرى الخير، وتجنب الشر، حتى يصير كمانع فى باطنه غير محسوس» انتهى حاصله.

* * *

**(قوله «وعلمنا من لدنك علما نصير به كاملين ..الخ»)**[1] رفع نصير على أن الجملة صفة لما قبله، ونظيره قوله تعالى (وليا يرثنى) على قراءة

---

(١) قال الله تعالى «وعلمناه من لدنا علماً» وقال سبحانه «واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم» وقال تعالى «ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور» - وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه «كن بالله عالما ومعلماً وكفى بالله هادياً ونصيرا ووليًّا».

والرياضة الصادقة والمراقبة الصحيحة توصلان المرء إلى تعلم مالا يعلم. فقد قال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما علم أورثه الله العلم بما لم يعلم». وقال صلى الله عليه وسلم «من أخلص لله أربعين صباحا أظهر الله تعالى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» (تراجع الرسالة اللدنية) للإمام الغزالى رضى الله عنه. وقد جاء فيها أيضاً «قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه: أدخلت لسانى فى فمى فانفتح فى قلبى ألف باب من العلم مع كل باب ألف باب» وقال «لو وضعت لى وسادة وجلست عليها، لحكمت لأهل التوراة بتوراتهم. ولأهل الإنجيل بإنجيلهم. ولأهل القرآن بقرآنهم» وهذه مرتبة لا تنال بمجرد التعلم الإنسانى، بل يتحلى المرء بهذه المرتبة بقوة العلم اللدنى».

وقد طلب الشيخ علما يتحقق به الكمال فى المحيا والممات. لأن طلب العلم وحده لايكفى بل يجب سؤال العلم النافع. وفى الحديث كان النبى صلى الله عليه وسلم يسأل «علماً نافعاً» ويستعيذ من «علم لاينفع» فالعلم كما ينفع قد يفسد.

يقول الأستاذ رضى الله عنه «العلوم على القلوب كالدراهم والدنانير على الأيدى، إن شاء نفعك بها وإن شاء ضرك معها» المفاخر العلية ص ٩٤ - ألم تر إلى قوله تعالى «فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين» - وقوله تعالى فى قصة بلعام ابن باعوراء «واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين».

الرفع، لأنه لم يقصد به جواب الدعاء حينئذ، ولو قصده لجزمه كما تقدم له جزم (تقنا) على أن سر تخصيص كل بما اختص به صحة إسناد تقنا فيما تقدم إلى الله فيحسن فيه جواب الدعاء بخلاف نصير فيحسن فيه الوصف والله أعلم.

* * *

(**قوله «ولا نسألك دفع ماتريد ولكن نسألك التأييد بروح من عندك..الخ»**) قال في القصد «رأيت كأني من النبيين والصديقين فأردت أن أكون معهم ثم قلت «اللهم أسألك بي سبيلهم مع العافية مما ابتليتهم فإنهم أقوى مني ونحن أضعف منهم» فقيل لي قل وماقدرت من شيء فقلت «فأيدنا كما أيدتهم» انتهى.

وفي دعاء لواضع الحزب رضي الله عنه «وأيدنا بروح منك حتى لانؤتى أنفسنا وأهواءنا ولانتبع شيطاننا واجعلنا من حزبك فإن حزبك الغالبون» وكل ذلك موافق لآية ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[1] ومقتبس من نورها، والمراد به روح الوصلة واليقين، كما سيقول وانصرنا باليقين والتوكل عليه.

وفي حزب الإمام البرزلي (وانصرني باليقين وأيدني بالروح الأمين) يعني جبريل عليه السلام.

وقد قيل في تفسير الآية أيضاً والتأييد التقوية وهو نافع في سر التجلي ونور الشهود لكونه حياة الروح وفيه قوتها.

وقد قال الورتجيني على قوله تعالى (وأيدهم بروح منه) :

---

(١) المجادلة : ٢٢ .

«أيدهم الله تعالى لتجلى ذاته لأرواحهم، وما أبقاهم فى رؤية الصفات بل أغرقهم فى قاموس الذات لوجدوا فيه أسرار جواهر الربوبية، وحقائق أنوار الألوهية وذلك الوجدان لأنه نفخ من روح الأزل فى أرواحهم روح العارف فصارت أرواحهم مؤيدة بروح منه» انتهى.

وفى نوادر الأصول بعد ذكر التأييد بروح اليقين قال له القائل. ماروح اليقين؟ قال: «برد القربة من الرحمة والعطف فراحت بها من نور النفس وحرارتها وليس فيما قلت شفاء لأنك لم تصل إليه والشفاء لمن وصل واحتظى منه وذلك أن النفس خرجت من هوى المخلوقين إلى هوى القربة وكل الطيب هناك» انتهى.

وقال الكواشى فى تفسير الآية عن بعضهم «حياة الروح بالتأييد، وحياة النفس بالروح، وحياة الروح بالذكر، وحياة الذكر بالذاكر، وحياة الذاكر بالمذكور» - ثم قال «وأيدهم بروح منه» أى قواهم بنصره الحسى، سمى النصر روحا لأن أمرهم يحيا به، والروح الإيمان أو القرآن أو الحجة أو الرحمة أو جبريل عليه السلام أيدهم الله به» انتهى.

واقتصر غيره على تفسير الروح بالنور فى الآية.

* * *

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فهنيئا لمن عرفك فرضى بقضائك. والويل لمن لم يعرفك بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك. اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقداً تصحبه أنوار محبتك فإنه قد ظهرت السعادة على من أحببته وظهرت الشقاوة على من غيرك ملكه فهب لنا من مواهب السداد واعصمنا من موارد الأشقياء.

## هنيئاً لمن عرفك ورضى بقضائك

- الرضا بقضاء الله
- حكم بالذلة حتى عزوا
- حكم بالفقد حتى وجدوا
- سلب الولى بغير قطيعة
- طرد الابتلاء والامتحان

**(قوله «بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك»)** لأن حكم الواحد لامهرب منه، وقهره لامحيص عنه، إذ لا غيره يجير منه ولا يهرب إليه، فكان في قضية الإقرار بالوحدانية الاستسلام والتسليم والرضا بما يجري به القضا(١).

قال في القوت: ورويناه في الخبر المشهور مامعناه «يقول الله عز وجل خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه والويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لِمَ وكيف؟» انتهى(٢).

وماذكر في الحزب من الإقرار بالوحدانية مع عدم الرضا خرج مخرج الدليل والبرهان عن تأكيد الويل في حق من لم يسلم ويرضى مع ذلك لأنها مخالفة مع العلم، ويتضاعف الويل على من علم ولم يعمل لما في ذلك من الجراءة فتشتد الجراءة، نسأل الله تعالى العصمة(٣).

***

(١) الرضا هو باب الله الأعظم وجنة الدنيا، والرضا أن يكون قلب العبد ساكنا تحت حكم الله عز وجل.

قال الله تعالى «رضى الله عنهم ورضوا عنه» المائدة ١١٩ .

وفي الحديث القدسي «قال الله تعالى: أنا الله لا إله إلا أنا. فمن لم يصبر على بلائي، ولم يشكر نعمائي، ولم يرض بقضائي، فليطلب ربا سواي» رواه الطبراني في الكبير وابن حبان وقيل إسناده ضعيف.

وقال الإمام على كرم الله وجهه: من قعد على بساط الرضا لم ينله مكروه أبداً.

وسمعت رابعة العدوية رضى الله عنها رجلا يقول. اللهم ارض عني، فقالت له: لو رضيت عن الله لرضى عنك.

(٢) الحديث رواه ابن شاهين في شرح السنة عن إمامه، وقيل إسناده ضعيف ونصه: روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «قال الله تعالى خلقت الخير وخلقت له أهلا، وخلقت الشر وخلقت له أهلا، فطوبى لمن خلقته للخير ويسرته على يديه، وويل لمن خلقته للشر ويسرت الشر على يديه، وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف؟».

(٣) من أقوال الأستاذ رضى الله عنه: «حد السخط إرادة مالم يرد الله بالحكم».

وقال أيضاً: «من آمن بالقسمة حرام عليه أن ينازع في الحكمة».

(**« قوله اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا »**) هــذا لأن تسلط الخلق على أولياء الله فى مبدأ طريقهم سنة الله فى أحبابه وأصفيائه وبذلك يتطهرون من البقايا وتتكمل فيهم المزايا، وكيف يساكنون الخلق باعتماد أو يميلون إليهم بإسناد، فإذا تمت أنوارهم، وتطهرت من البقايا أسرارهم، حكّمهم فى العباد وأذلهم لهم، فيكون العبد المجتبى سيفاً من سيوف الله ينتصر الله به لنفسه كما نبه على ذلك فى لطائف المنن، وذلك من أسرار عدم مشروعية الجهاد من أول الإسلام والأمر بالصبر تشريعاً لما ذكرنا وتحذيراً من الانتصار للنفس أو عدم تمحيض النصرة للخلق، وعند الرسوخ فى اليقين والأمن من مزاحمة التصديق دفع فى الإذن بذلك. هذا بالنسبة للصحابة الكرام رضى الله عنهم، وأما النبى ﷺ فكامل من أول نشأة على التقويم الأول فى فطرته فذلك تشريع لا غير فى حقه، وتعظيم وترفيع لرتبته.

على أنه قد تقدم: أتم طريق السلوك إلى الإمداد بأوصاف الخلق تحقق العبد بأوصافه، والذل من وصفه[1]. فالحق تعالى يتولى تدريجه فى ذلك

---

=

ومن وصاياه رضى الله عنه: ألق بنفسك على باب الرضا، وانخلع عن عزائمك وإرادتك.

وقال رضى الله عنه: سيئتان قَلَّ ماينفع معهما كثرة الحسنات، السخط لقضاء الله والظلم لعباد الله، وحسنتان قل مايضر معهما كثرة السيئات، الرضاء بقضاء الله، والصفح عن عباد الله».

(١) قال الأستاذ رضى الله عنه «وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والضعف والذل لله وأضادها أوصاف الربوبية فما لك ومالها، فلازم أوصافك وتعلق بأوصاف الله، فقل من بساط الفقر الحقيقى (ياغنى مَن للفقير سواك)، ومن بساط العجز (ياقدير من للعاجز سواك). ومن بساط الضعف (ياقوى من للضعيف غيرك)، ومن بساط الذل (ياعزيز من للذليل غيرك) تجد الإجابة كأنها طوع يدك».

فما يواجهه به من اقتضاء الخلق له وجفاهم، ليتأهل للاعتزاز بربه واليأس من خلقه[١]. فسبحان المدبر الحكيم اللطيف.

* * *

(قوله «وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا») وهذا أيضاً لأن من استحلى حالا أو ساكن مقاما، فمن سنة الله مع أوليائه تشويش ذلك عليهم، وهو من غيرته تعالى على قلوبهم لئلا تتأله لغيره، ولئلا تتغير بسواه. وقد تقدم في الحزب «واجعلنا عبيدا لك في جميع الحالات» وشتان بَين من يعبد ربه لربه وبين من يعبده لقلبه[٢].

وقد قال أبو الوفا الشريف المقدسي رضى الله عنه «قد يسلب الولى الحال بغير قطيعة من الحق ليزداد بذلك فقرا إلى الله عز وجل وتواضعا وفاقة ومعرفة بعجزه وضعف نفسه وهو باب الفقه في علم الأحوال» انتهى.

قال في نوادر الأصول «عن أبي ذر رضى الله عنه أن الله يقول ياجبريل انسخ من قلب عبدى المؤمن الحلاوة التى كان يجدها، قال فيصير العبد المؤمن والها طالبا للذى كان يعهده من نفسه، نزلت به مصيبة لم ينزل به

---

(١) قال الأستاذ رضى الله عنه في قوله تعالى «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» فعزة المؤمن أن يمنعه الله من التعبد للنفس والهوى والشيطان والدنيا أو لشيء من المكونات في الغيب والدنيا والآخرة (المفاخر ص ٨٦).
وقال رضى الله عنه في قول بعضهم: من أراد عز الدارين فليدخل في مذهبنا هذا يومين، قال له القائل: كيف لى بذلك؟ قال: فرق الأصنام عن قلبك، وأرح من الدنيا بدنك، ثم كن كيف شئت، فإن الله لن يدعك.

(٢) قال الزبيدى في شرحه لهذا الحزب المعروف بـ«تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير»: «(وحكمت عليهم بالفقد) أى سلبت عنهم وصف الأنانية والكبر والملاحظة للغير وذلك في أقصى سلوكهم، (حتى وجدوا) مطلوبهم، وهو الإشارة إلى مقام فناء الفناء الذى هو الاستهلاك الكلى المعبر عنه بقوله «موتوا قبل أن تموتوا» فالفاقد هنا هو الواجد، والناظر لنفسه هو الفاقد المفقود».

مثلها قط ، فإذا نظر الله إليه وهو على تلك الحالة قال يا جبريل رد إلى قلب عبدى مانسخته منه فقد ابتليته فوجدته صادقا وسأمده من قبلى بزيادة» انتهى .

* * *

(**قوله «تصحبه أنوار محبتك»**) يعنى أنه إن لم يكن كذلك ، كان طردا عن باب الله وإدبارا عنه ، وهو غير السلب عياذا بالله ، كيف والعبد لاصبر له عنه ولابراح له عن بابه . واعتبر بالذى كان يقول مدة مديدة لبيك وسعديك ، فيجاب بلا لبيك ولا سعديك ، ومع ذلك لم يقطعه ذلك عن الإقبال والتمادى عليه فى كل حال[1] . ولكن الحق تعالى اختبره

---

(١) يقصد قصة أحد الصالحين كان قد خرج للحج ، وبينما هو يطوف والحجاج يرددون «لبيك اللهم لبيك» سمع أصواتا ترد على الحجاج أيضاً بالتلبية ، إلا شيخاً صالحاً كان بجواره ، كان كلما نادى «لبيك اللهم لبيك» إذ به يسمع صوتا يرد عليه «لالبيك ولاسعديك» فقال له : ألا تسمع يا أخى هذا الصوت . فقال الشيخ باكيا : نعم والله إنى لأسمعه منذ أربعين عاما ، فما ثنانى هذا عن أن أناديه «لبيك اللهم لبيك . .» وما ثنانى هذا عن أظل واقفاً على بابه ، لاجئا إلى رحابه حتى يرد على وهل لى رب سواه ؟» . وفى اليوم التالى بينما كان الشيخ يطوف ويلبى ، إذ به يسمع صوتاً يرد عليه «لبيك وسعديك» فبكى الشيخ ثم أسلم روحه إلى بارئها . . وكان الرجل الصالح على مقربة منه يسمع ويرى . . وصلى عليه .

وجاء فى «روض الرياحين» أنه كان فى بنى إسرائيل رجل عابد فى كهف فى الجبل لايراه أحد من الناس ولايرى أحداً ، يصوم النهار ويقوم الليل ولايفتر عن العبادة . فزاره موسى عليه السلام وسأله أن يرفق بنفسه فقال : أخاف أن أؤخذ على غفله فسأله موسى : هل من حاجة إلى مولاك ؟ قال : نعم سله أن يعطينى رضاه ولايشغلنى بسواه حتى يقضى نحبى . فلما صعد موسى عليه السلام إلى مناجاة ربه ، سأله ربه : ما قال لك العابد ؟ اذهب إليه وقل له يتعبد ماشاء فى الليل والنهار ، فإنه من أهل النار لما سبق من الذنوب والأوزار . فأتاه موسى عليه السلام وأخبره بما قاله مولاه . فقال العابد : مرحبا بقضائه وحكمه وكل شىء بعين قدرته . ثم بكى وقال : يا موسى وعزته وجلاله مابرحت عن بابه ولو طردنى ، ولا رحلت عن جنابه ولو أحرقنى ومزقنى» . فلما صعد موسى إلى ربه لمناجاته . قال له المولى سبحانه : ياموسى اذهب إليه وبشره أنه من أهل الجنة ، وقد أدركته الرحمة والمنة ، وقل له تلقيت قضائى بالصبر والرضا ، ورضيت منى بأصعب الحكم والقضا ، فلو ملأت ذنوبك السموات والأرض والفضاء وملأت جميع الأقطار لغفرتها لك . وأنا العزيز الغفار . فلما سمع العابد هذا من نبى الله ، خر ساجداً لله تعالى وحمد ربه فما زال فى سجوده حتى قضى نحبه .

وأظهر صدقه فى ذلك ظاهرا واجتذبه وأمده بتأييده باطنا، فلم يكن طردا بل تخليصا وتخصيصا.

وقد قال سيدى على بن وفا رضى الله عنه فى جملة أبيات

ونحن على العهد نرعى الذمام وعهد المحبين لاينقضى
صددت فكنت مليح الصدود وأعرضت أفديك من معرض
وفى حالة السخط لا فى الرضا يبين المحب من المبغض

وقال غيره :

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وإن بات من ليلى على اليأس طاويا

وقال فى لطائف المنن: «لاتفقد الوقت بظهور الواردات، ولا بكثرة الطاعات ولكن انظر إلى ثقتك بالله، وإجلالك لأوامر الله، وترك الاختيار مع الله، فإن وجدت ذلك عندك - ولايوجد واحد منها إلا وجد بقيتها - فاعلم أن لله بك عناية أبداها، وودائع أخفاها، فاشكره على ما أسدى، واحمده على ما أهدى» انتهى.

يعنى أن ذلك شواهد العبودية المطلوبة من العبد ظاهرا وباطنا، وذلك حق، والتطلع للوارد حظ العبد، وكونه بحظ ربه أولى وأسلم له من كونه بحظ نفسه، بل ربما كان ذلك ممكوراً به ومقتطعا بسببه، اللهم سلم سلم ياسلام.

وقد قال عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[1]:

قال «على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس»[2].

---

(١) آل عمران : ٣١ .
(٢) رواه أبو الدرداء وأخرجه الترمذى.

قال في نوادر الأصول : «فالبر ما افترض الله على العبد، والتقوى هو مانهاه عنه، والتواضع أن يدع مشيئته لمشيئة الله عز وجل، وذلة النفس ترى المنى في عطاياه في الدرجات، وفي إقامة هذه الأربعة صفو العبودية، فهو عبد الله، ورسوله أرسله إلى الخلق على طريق العبودية لله، وذلك بالسلامة من الشعور بالنفس، فلا يتكلف من تلقاء نفسه شيئاً، ولايريد لنفسه شيئاً، فهو لله وبالله» انتهى.

والسعيد حقًا من أغنيته عن السؤال منك والشقى حقًا من حرمته مع كثرة السؤال لك فأغننا بفضلك عن سؤالنا منك ولا تحرمنا من رحمتك مع كثرة سؤالنا لك إنك على كل شيء قدير.

ونسألك عز الدنيا والآخرة كما سألك نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عز الدنيا بالإيمان والمعرفة وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة إنك سميع قريب مجيب.

اللهم إنى أقدم إليك بين يدى كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو فى علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدى ذلك كله الله لا إله إلا هو الحى القيوم..الخ.

# روضة الحزب

- الغنى عن السؤال من الله... والسعادة الحقة
- متابع القرآن يجار من شقاء الدنيا والآخرة
- إحسان الظن بالله إذا تأخرت الإجابة
- عز الدنيا والآخرة
- روضة الحزب.. وآية الكرسى

**(قوله «والسعيد حقا من أغنيته عن السؤال منك. والشقى حقا من حرمته مع كثرة السؤال لك»)**[١] قال فى نوادر الأصول «الشقاوة فراق العبد من الله، والسعادة اندساسه إليه» اهـ .

وفى دعاء لواضع الحزب رضى الله عنه «أسألك بذاتك سعادة لا شقاء معها بمطالعة غيرك إنك على كل شىء قدير» وسيأتى له آخر الحزب «واقرب منى بقدرتك قربا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك، فلم يحتج لجبريل رسولك، ولا لسؤاله منك»[٢].

وقال فى الحكم «وأغثنى بفضلك حتى أستغنى بك عن طلبى» ومدار السعادة على الجمع على الله، والغيبة عمن سواه، فيفنى العبد عن وجوده، ويبقى بربه، فيشغله استغراقه فى شهوده عن الشعور بغيره وينمحى منه أمل كل شىء يرجى، أو خوف كل شىء يتقى، فليس له عن سوى الحق اختيار، ولا مع غيره قرار، وعندما حل بهذه الحضرة وظفر بقرة عينه وحياة روحه وسر حياته لايتصور منه سؤال ولا فوات مأمول «أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون، فإذا شهدته كانت الأكوان معك».

«اشتاقت الجنة إلى على وعمار وسلمان وصهيب وبلال» كما فى الأثر[٣]. نعم إن رد إليه يتصور منه الدعاء على وجه العبودية، وأداء الأمر وإظهار الفاقة والعجز لا على وجه الاقتضاء والسببية، بل حكم الأزل أن

---

(١) يقول الصوفيون «لله رجال إذا ارتفعت حواجبهم قضيت حوائجهم» أى قبل أن تنطلق ألسنتهم بالسؤال.

(٢) لما ألقى إبراهيم عليه السلام فى النار، جاءه جبريل فسأله «ألك حاجة»؟ قال «أما إليك فلا، وأما إلى الله فعلمه بحالى يغنى عن سؤالى» فسماه الله فى كتابه الكريم «إبراهيم الذى وفى».

(٣) «إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة على وعمار وسلمان» رواه الترمذى عن أنس، ورواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير أبى ربيعة الأيادى وقد حسن الترمذى حديثه قاله الحافظ الهيثمى.

يضاف إلى الأسباب والعلل وعلى ماتقرر فى العادة. فالشقاوة احتجاب العبد بوجوده عن شهوده، فلا ينفك عن أمل، ولا عن خوف عطب، فيستحسنه الطبع للسؤال جلبا أو دفعا، وهو مع ذلك فى شقاء، سواء أعطى أو منع لفقده قرة عينه وراحة قلبه، لأسره فى طبعه، ومكابدة أمره وهلعه، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾[١] فليس ينهش من ذلك الطبع ومكابدته وعناه، غير أهل الصلاة الدائمة وهم أهل الوجهة لله الموجهين بعناية الله المحققين بذكر الله وقد ورد «هم القوم لايشقى جليسهم»[٢] فضلا عنهم.

وعلى الجملة فالمراد بالشقاوة والسعادة فى كلامه، الباطنة لا الظاهرة، والأمر القلبى لا القالبى، وإن كان قد يطلق فى ذلك أيضاً «لكن لكل مقام مقال» وقد قال تعالى ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴾[٣].

---

(١) المعارج : ١٩ - ٢٣ .

(٢) من حديث متفق عليه «إن لله تعالى ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم ما يقول عبادى؟ قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، فيقول هل رأونى فيقولون لا والله ما رأوك فيقول كيف لو رأونى قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا. فيقول فماذا يسألون. قال يقولون يسألونك الجنة. قال يقولون وهل رأوها. قال يقولون لا والله يارب ما رأوها. قال يقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة. قال فمم يتعوذون. قال يتعوذون من النار. قال فيقول وهل رأوها قال يقولون لا والله ما رأوها. فيقول فكيف لو رأوها. قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة. قال فيقول: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم. قال يقول ملك من الملائكة. فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال هم الجلساء لايشقى بهم جليسهم». ولمسلم رواية أخرى وفى آخرها «وله غفرت هم القوم لايشقى بهم جليسهم».

(٣) طه : ١٢٣ .

وقال فى نوادر الأصول تابع القرآن قد أجير من شقاء العيش فى الدنيا لراحة قلبه من غموم الدنيا وظلماتها وسيره فى الأمور بقلبه فى راحة لأنه منشرح الصدر واسع البال، وبدنه فى راحة لأنه ميسر عليه أمور الدنيا تتهيأ له فى يسر لضمان الله له، واكتنافه به، وكذلك يجار فى الآخرة من شقاء العيش فى سجون النيران أعاذنا الله منها.

وإذا أحطت علما بما ذكرنا، فلا التفات لمن تعقب على الإمام الشاذلى رضى الله عنه فى قوله «فالسعيد حقا من أغنيته عن السؤال منك» فإن الدعاء عبادة لا يستغنى أحد عنها، ويكفى فى الرد عليه حالة الخليل عليه السلام، وتحقيق الأمر أنه إن غلبت عليه الحقيقة لايتصور سؤال، وإن غلبت عليه الشريعة أورد إليها سؤال العبد على وجه إظهار العبودية فى الخضوع لا على وجه الاقتضاء.

قال فى نوادر الأصول. أهل اليقين قد يدعون ويلحون وهم فى ذلك ساكنون مطمئنون ينتظرون مشيئة الله، فإن أجاب قبلوا، وإن تأخر صبروا، وإن منع رضوا وأحسنوا الظن، كما قال أبو حبيب البدوى لسفيان «منع الله إياك عطاء منه لك، وذلك أنه لم يمنعك من بخل ولا عدم، وإنما منعك نظرا واختبارا» انتهى.

وأما السؤال لا على وجه العبودية، فهو معلول عند العارفين الموحدين سواء كان متعلقا بالحق أو بالخلق.

* * *

**(قوله «كما سألك نبيك محمد ﷺ»)**[1] ورد فى غير ماحديث سؤال العز والتعوذ من الذل وورد طلب النصر كثيرا والثناء على الله بكونه «نصر عبده وأعز جنده» وقد قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ

(١) وفى بعض النسخ «كما سألك سيدنا محمد عبدك ونبيك».

وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] وقال ﴿ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾[٢].

وقال فى نوادر الأصول : «على قدر تذلل العبد لله وترك مشيئته لمشيئة الله تعالى فى الأحوال كلها يستوفى الحظ من تلك العزة والقوة» انتهى.

وفى الحكم : «تحقق بوصفك يمدك بوصفه»، وذلك ثمرة الإيمان وطريق المعرفة التى هى جزئية من الهوى.

وقد قال الإمام الشاذلى رضى الله عنه «سألت أستاذى عن قوله عليه السلام (المؤمن لايذل نفسه) فقال : لهواه، بل يذلها لمولاه». وإليه يرجع كلام صاحب الحكم والله أعلم.

* * *

(**قوله اللهم إنى أقدم إليك..الخ**) قال فى نوادر الأصول : لقى جبريل موسى عليهما السلام فقال جبريل : «إن ربك يقول لك من قال دبر كل صلاة مكتوبة مرة : «اللهم إنى أقدم إليك بين يدى كل نفس ولمحة وطرفة.. إلى العلى العظيم»، فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا ويصعد إلىّ منه فيها سبعون ألف حسنة حتى ينفخ إسرافيل فى الصور وتشتغل الملائكة - قال أبو عبد الله الحكيم الترمذى جملنا حساب ليلة فبلغ ثمانمائة ألف ألف وأربعين ألف ألف وبالنهار مثله فذلك ألف ألف ألف وستمائة ألف وألف وثمانون ألف ألف. هذا ليوم وليلة فحقيق أن تشتغل الملائكة بذلك.

فأما معنى قوله «أقدم إليك بين يدى هذه الأشياء» أجمل ذكرها لعجزه عن إحصائها على الانفراد، فقال «أقدم إليك بين يدى هذه الأشياء أنه لا إله إلا هو» كأنه يؤدى معناه إلى أنه قديم لم يزل قد كان قبل هذه الأشياء التى أجمل ذكرها فقد كان يجمع هذه الصفات التى وصف بها نفسه فى هذه الآية» ا. هـ.

---

(١) المنافقون : ٨.　　(٢) الفتح : ٣.

ومقتضاه أن آية الكرسى كانت لموسى عليه السلام وهو خلاف حديث أبى أمامة عن على عنه ﷺ قال «أعطيت آية الكرسى من كنز تحت العرش ولم يؤتها نبى قبلى» أخرجه أبو القاسم بن الطيلسانى فى مسلسلاته[١].

ونقل عن سيدى أبى عبد الله بن عياد وهو الحاج الصالح الواعظ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الأرموى الرندى رحمه الله قال كنت مسندا ظهرى إلى مقام إبراهيم عليه السلام وذلك فى يوم الجمعة الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ثمان وأربعين وستمائة وأنا أقرأ هذا الحزب، فأغفيت أى نمت ونعست ، فرأيت كأن نسختى التى حفظتها بين يدى، وإذا سطر مكتوب على هذا الفصل لم أعهده فى نسختى فقرأته ولم يبق فى خلدى منه يعنى بالى بعد اليقظة إلا هذا الفصل «روضة هذا الحزب» ومابعده من كلام ذهب منى فى اليقظة، فحدثت بذلك بعض إخواننا من أهل الخير فأثبتوها فى نسخهم وأعجبوا بذلك وسر به شيخنا أبو الطيب سرورا عظيما ومنتهاه عند قوله «فإنك بكل شىء عليم».

* * *

**(قوله وكل شىء هو فى علمك كائن)** يقرأ بجر «كل» كما رأيته مضبوطا بخط سيدى عبد النور عطفا على ماقبله المخفوض بإضافة (يدى) إليه.

---

(١) فى الخبر «من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة كان الذى يتولى قبض روحه ذو الجلال والإكرام، وكان كمن قاتل مع أنبياء الله حتى يستشهد».

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له عن آية الكرسى «فإنك لاتقرأها فى بيت إلا خرج منه الشيطان له خبج كخبج الحمار لايدخله حتى يصبح».

وسأل أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما «أى آى مما أنزل الله عز وجل عليك أعظم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: آية الكرسى يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسى إلا كحلقة بأرض فلاة».

وقال أبو عبد الله هذه آية أنزلها الله جل ذكره وجعل ثوابها لقارئها عاجلا وآجلا. فأما فى العاجل فهى حارسة لمن قرأها من الآفات.

أقسمت عليك ببسط يديك وكرم وجهك ونور عينيك وكمال أعينك أن تعطينا خير مانفذت به مشيئتك وتعلقت به قدرتك وأحاط به علمك واكفنا شر ماهو ضد لذلك واكمل ديننا وأتمم علينا نعمتك وهب لنا حكمة الحكمة البالغة مع الحياة الطيبة والموتة الحسنة وتول قبض أرواحنا بيدك وحل بيننا وبين غيرك فى البرزخ وماقبله ومابعده بنور ذاتك وعظيم قدرتك وجميل فضلك إنك على كل شيء قدير .

# أقسمت عليك ..

- التوسل برسول الله
- صلاة الحاجة
- مالك بن دينار . . وتوسل العبد بحب الله له
- التوسل بالأولياء
- التوسل بصفات الله
- خطبة على كرم الله وجهه لبنت أبى جهل
- مقام الخلة والدلال
- حجاب الله عز وجل
- النبي وجبريل ليلة المعراج
- السيد البدوى ولثامه
- ماهى الحياة الطيبة
- الله يقبض أرواحنا بيده
- آية الكرسى دبر الصلوات
- طلب الاستغراق والشهود

**(قوله أقسمت عليك)** جاء فى بعض الأحاديث أنه عليه السلام علم الناس الدعاء فقال «اللهم إنى أقسم عليك بنبيك محمد نبى الرحمة»[١].

قال عز الدين : فإن صح فينبغى أن يكون مقصورا عليه لأنه سيد ولد آدم ولايقسم على الله بغيره.

قال البرزلى «وكان شيخنا الفقيه - يعنى ابن عرفة قدس الله روحه - يختار الجواز، ويحتج بسؤال عمر رضى الله عنه بالعباس فى قصة الاستسقاء[٢] ويقول العبد الذى استسقى بالبصرة بحبك لى إلا ما سقيتنا الساعة[٣] وقال الحطاب «إنما هذا توسل وهو عين القسم» انتهى.

---

(١) يقصد الدعاء الذى ورد فى ختام «صلاة الحاجة» فقد روى الترمذى بسنده عن عثمان ابن حنيف أن رجلا أعمى أتى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال إنى أصبت فى بصرى فادع الله لى، قال. اذهب فتوضأ وصل ركعتين. ثم قل. اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيى محمد، نبى الرحمة، يامحمد. إنى أستشفع بك على ربى فى رد بصرى (ثم قال صلى الله عليه وسلم) وإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك.. قال. فما لبث الرجل أن رجع كأن لم يكن به ضر قط.

(٢) كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستسقى بالعباس بن عبد المطلب عم نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون.

(٣) حكى عن مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه أنه قال أمسك الغيث عنهم فى البصرة سنة من السنين، فخرجوا إلى الصحراء يسألون الله تعالى أن يسقيهم الغيث، حتى خرج معهم أكابرهم وأصاغرهم وأولادهم، فما زالوا يدعون ويتضرعون إلى الله تعالى والكل [illegible] منون على دعائهم، ولم يزدد النهار إلا صحوا ولا الشمس إلا حراً، فمل الناس و[illegible] ضوا إلى حوائجهم، فمضى مالك بن دينار إلى مسجد خرب فى الصحراء فجلس هناك، وبينما هو جالس، إذ دخل المسجد غلام أسود عليه خرقتان قديمتان تساوى قيمتهما درهمين، فدخل المسجد وصلى ركعتين فلما سلم قال: إلهى وسيدى ومولاى لم رددت عبادك وفقراءك وعيالك؟ أفرغ ماعندك أم نفدت خزائنك؟ أقسمت عليك بحبك لى إلا سقيتنا الساعة!! فما أتم كلامه حتى أمطرت كأفواه القرب بقول مالك «فتعرضت له فقلت: أما تستحى تقول بحبك لى؟ وما يدريك أنه يحبك؟ فقال لى: يا من اشتغل عنه بنفسه!! أين كنت أنا حين خصنى بتوحيده؟ أتراه بدأنى بذلك =

ولعل موضوع الخلاف بينهما بعد اتفاقهما فى حمل القسم فى الحديث على التوسل، كما ورد فى طريق آخر «اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمة...» أنه هل يجوز التوسل بغير النبى عليه السلام؟ فأجازه الإمام ابن عرفة محتجا بقصة الاستسقاء وغيره، ومنعه ابن عبد السلام.

وأما القسم فلا يجوز بحال بغير الله خلافا للإمام ابن حنبل ومن تبعه. وأما كلام الحطاب ففيه نظر من حيث جعل القسم على حقيقته وفهم أن الخلاف فى ذلك، ولذلك رد استدلال ابن عرفة ويشهد لما ذكرناه من أن الخلاف إنما هو فى التوسل بغير النبى ما وقع فى المعيار فى جواب لأبى القاسم العبدوسى بعد ذكره أن الحى ينتفع بالميت فى الزيارة قال «لكن هل يتوسل به إلى الله فيقول بحق هذا الصالح افعل بى كذا؟ هكذا نص معروف الكرخى رضى الله عنه فى الحلية وإنما يعتقد أن البقعة بقعة مباركة يدعو الله فيها من غير توسل، هذا هو الذى عمل عليه الشيوخ - انتهى.

وعلى التوسل يحتمل مافى رسالة القشيرى رضى الله عنه عن معروف الكرخى رضى الله عنه قال «من كانت له إلى الله تعالى حاجة فليقسم عليه به».

وكذلك وجد بخط الإمام أبى العباس المرسى قدس الله سره عن شيخه الإمام الشاذلى أنه كان يقول له «إذا عرضت لك إلى الله حاجة فاقسم عليه بى».

---

إلا محبته لى؟ ألا تعلم أن الله واسع المغفرة عظيم المحبة لعباده؟.
ألم تسمع قوله تعالى «هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما» تدبر أيها الإنسان إن الله وملائكته يصلون علينا لنعلم أى حب عند الله لنا؟ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب العابدين ويحب أن نعرف أنه يحبنا).

كل ذلك بمعنى التوسل . . . **وأما ما وقع فى توسل الحزب من قوله (أقسمت عليك ببسط يديك وكرم وجهك..الخ)** فهو قسم بصفات الله تعالى، فهو على حقيقته، ولكنه خاص بالمحبوبين المدللين على الله عز وجل كما يشير إليه حديث «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»(١).

ويحتمله حديث «والله لاتجتمع بنت عدو الله مع بنت حبيب الله أبدا» فى قصة خطبة على كرم الله وجهه بنت أبى جهل على فاطمة البتول رضى الله عنها(٢).

وقد قال الحاتمى رضى الله عنه «إن لله عبادا يتحكمون عليه فيما يخطر لهم فيجيبهم إلى ذلك، وذلك لمعرفتهم به حيث أحضر لهم ذلك، فهو المتحكم غيبا وهم المتحكمون عينا» انتهى.

وقد نقل فى القوت في آخر كتاب المحبة حيث تكلم عن الخلة عن الجنيد أن العبد فى هذا المقام يعلم أن الله يحبه، ويقول العبد بحقى عليك وبجاهى عندك ويقول بحبك لى - قال وهؤلاء مدللون على الله

---

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) رواه مسلم.

(٢) خطب على كرم الله وجهه جميلة بنت أبى جهل إلى عمها الحارث بن هشام أو خطبت هى إليه، وتوجه بنو هاشم، كما توجه على أيضاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعرض أمر هذه الخطبة عليه وأخذ رأيه فيها، وكان على زوجاً للسيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها.. ورفض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخطب من فوق منبره الشريف موضحاً سبب هذا الرفض، فقال بعد التشهد:
(أما بعد فإنى أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثنى وصدقنى. وإن فاطمة بضعة منى، وإنى أكره أن يسوءها. والله لاتجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد. وإنى لست أحرم حلالا ولا أحل حراما، ولكن والله لاتجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله) تراجع القصة فى البخارى فى كتاب الخمس فى باب ماذكر من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم، وفى كتاب المناقب فى باب ذكر أصهار النبى وفى كتاب النكاح - ويراجع كتابنا (فاطمة الزهراء).

عز وجل، ومستأنسون به، وهم جلساء الله وقد رفع الحشمة بينه وبينهم، وزالت الوحشة بينه وبينهم، علموا أن الله يحبهم وأن لهم عنده جاها ومنزلة، فضلا منه تعالى وفرط كرم أو كما قال وهذا خارج عن الفتوى ولايعرفه غير أهله، وبالجملة فلا يكون الإدلال والقسم إلا عن استغراق واستهلاك فى الحقيقة بحيث يكون صاحب تلك الحالة مترجما عن ربه بربه، وليس لغيره ذلك إلا على سبيل التلاوة لأذكاره، والحكاية عنه - والله أعلم.

* * *

**(قوله ببسط يديك)** هذا الإطلاق معلوم من الشرع من قوله تعالى ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[1] ، ومن الحديث من قوله «يا باسط اليدين بالرحمة» وغير ذلك. والتنزيه ونفى التشبيه معلوم، وقد قال تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[2] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[3]. ثم يبقى بعد ذلك، إما التفويض إن بقى بعد التنزيه وصف المعنى المستحيل فى حقه تعالى أكثر من محمل واحد وهو المختار ومذهب السلف الصوفية، وإما التأويل وهو مذهب إمام الحرمين والخلف.

وعليه فإطلاق بسط اليدين تصوير لغاية الكرم ومبالغة فى الوصف بالجود وتثنية اليد لإفادة الكثرة، إذ غاية البذل فى السخى أن يعطى بيديه جميعا.

* * *

**(وأما قوله وكرم وجهك)** فينبغى به جماله وكماله. ووجهه مايعرف به من تجليات الذات لخصوص عباده :

---

(١) المائدة : ٦٤ .

(٢) الشورى : ١١ .

(٣) الإخلاص : ٤ .

هذا وقد قال تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[١] ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾[٢].

وفى الحديث الصحيح «حجابه النور - وفى رواية النار - ولو كشف عنها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره من خلقه» أى لأحرقت سطوة أشعة هذا النور الوجهى وقوة غلبة ثناه لسلطنة وحدتها وجلالها وغلبة إطلاق جمالها نسبة وإضافة وكثرة منسوبة إليها، يدركها نور بصره الإلهى، إما إلى عدم محض من حيث الوجود ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾[٣] ولولا أن ربط الله على قلبه لزهقت روحه وتلاشى فؤاده، وانمحى حسبه ووجوده، لكنه تعالى برحمته، إنما وجه قلبه باليسير من نور أحديته إبقاء عليه[٤].

---

(١) القصص : ٨٨ . (٢) الرحمن : ٢٧ . (٣) الأعراف : ١٤٣ .

(٤) النبى صلى الله عليه وسلم وجبريل ليلة المعراج :

انظر فى قصة المعراج كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل من حضرة إلى حضرة ومن رؤية إلى رؤية إلى مافوق سبع سموات، ويقف جبريل، ويتقدم الرسول صلى الله عليه وسلم يخترق حجب الأنوار حتى غشى نور العرش بصره فكان يرى بقلبه ولايرى ببصره. فلماذا لم يتقدم جبريل معه؟ لقد قال جبريل عليه السلام: لو تقدمت أنت لاخترقت، ولو تقدمت أنا لاحترقت من نور الله. وقد كان صلى الله عليه وسلم متمكنا، ولذا لم يؤثر فيه حاله ولاتغير عليه.

وكان سيدنا موسى عليه السلام متلونا إذا رجع من حضرة المناجاة والمكالمة، وقد أثر حاله على وجهه فلا ينظر إليه أحد إلا عمى لتمكن حاله فيه من كثرة المشاهدة حتى أذنه الله أن يتبرقع.

السيد البدوى ولثامه :

وفى تاريخ السيد البدوى رضى الله عنه، أنه كان يسمى الملثم، لأنه كان يتلثم بلثامين، حتى إن الشيخ عبد المجيد قال له أريد أن أرى وجهك أعرفه، فقال له: ياعبد المجيد كل نظرة برجل، فقال له عبد المجيد. ياسيدى أرنى وجهك ولو مت. فكشف السيد البدوى اللثام الفوقانى، فصعق عبد المجيد ومات فى الحال.

فكثرة العبادة لسيدى أحمد البدوى وحبه لله وحبه لرسول الله وزهده فى الدنيا، كل هذه العادات المخلصة جعلته قريباً من الله، ففاض عليه النور الإلهى، وذلك من كثرة المشاهدة، فصار وجهه نوراً وثيابه نوراً.

ثم المتجه في رواية النار أنها نار الشهوة والطبع المبعد للعبد من ربه، وأما رواية النور فقيل نور الجلال المانع من الابتذال.

والحاصل أن الحجاب، إما للنقص البشرى المشار إليه بالنار، وإما الكبرياء والجلال بعد الخروج من ذلك «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه» فلو كشف ذلك كشفا تاما لتدكدكت الموجودات بأسرها، وإنما يكشف من ذلك لمن يشاء بعد تقويته، وإمداده بنوره على حسبه وقدره والله أعلم.

قال الحاتمي : «اعلم أن لله سبعين حجابا من نور وظلمة، ولو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه. فلهذا نرى الحق من غير الوجه الذى يرانا، وإنما يقع الاحتراق والأثر إذا وقعت الرؤية من وجه واحد، وهو وقوع البصر منك على المبصر[١]. وقد أوجد الله تعالى في هذه الدار مثلا لهذا المقام على عزته وعلوه، فخلق دابة تسمى (الصل) بكسر الصاد وهي حية إذا وقع بصر الإنسان عليها، ووقع بصرها عليه على خط واحد، فاجتمعت النظرتان، مات الإنسان من ساعته» انتهى[٢].

لكن قال الإمام الأبى في شرح مسلم «ما يشار إليه من الحجب بالظلمة وتكثير الحجب لم يرو من طريق صحيح».

---

(١) ولهذا جاء في الحديث الشريف «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» - ولذا فإن العبد بإقباله على ربه، واقترابه منه، إنما يقبل على نور الله، فيفيض عليه سبحانه من نوره، فيصبح العبد بهذا ربانيا. سئل الحسن البصرى رضى الله عنه (ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره).

(٢) الصلال هي حيات الكوبرا، وهي الحيات التي لاتنفع فيها رقية، وهي أنواع الصل المقنع الأسود (الكالا) في الهند، والكوبرا العملاقة في الهند، والصل المصرى (الكوبرا المصرية) - وقد جاء في دائرة معارف الشعب جـ ٤ ، ص ٥٤٧ :
«وهذه الصلال مخيفة ومرعبة قتالة أينما وجدت. ولكن من رحمة القدر أنها لاتبادى بالهجوم إلا إذا أثيرت وحينئذ تبعث الرعب في النفوس بمنظرها المخيف» هذا ماعثرنا عليه بالنسبة لما كتب عن الصلال.

ثم قال ابن العربى رضى الله عنه ولم يصح فى الباب غير ما فى مسلم من كونه حجابه النور.

وفى رواية النار كما تقدم، قال الحسن لايدرك غيره لعدم صحته، وإنما تكلم العلماء عليها خوف اعتقاد ما لايليق (انتهى).

ثم اتفق أهل العلم والمعرفة أن الحجاب على الخلق معنوى عقلى لا حسى، كما اتفقوا أنه لايعرف بالكنه وإنما يعرف بوجه من التعريف لا بكيف، والله أعلم.

ثم إطلاق الوجه وارد كتابا وسنة كما تقدم، وجاء فى التعوذ فى السنة «أعوذ بوجه الله الكريم» وإنما اختلف المتكلمون فى إطلاق ماورد فى القرآن من المشكل فى غيره، وقد أجازه القلانسى وجماعة من المحدثين والفقهاء. فمن هنا جاز ذلك والله أعلم.

* * *

**(قوله ونور عينك)**[١] هو على التأويل أيضاً، إما عبارة عن إدراك البصر وكشفه، وإما عبارة عن الكلاءة والحفظ كما قال تعالى ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾[٢] أى على رعايتى وحفظى.

وفى الحديث «اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام»[٣]

---

(١) فى بعض الروايات (ونور عينيك) بالتثنية، وأشار إليها الزبيدى فى شرحه (تنبيه العارف البصير).

(٢) طه: ٣٩.

(٣) فى الحديث عن جعفر بن محمد قال حدثنى أبى عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أحزنه أمر دعا بهذا الدعاء (اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام، واكنفنى بركنك الذى لايرام واحفظنى بعزك الذى لايضام، واكلأنى فى الليل وفى النهار، وارحمنى بقدرتك على، أنت ثقتى ورجائى..) إلى آخر الحديث.

وفى حزب البحر «وعين الله ناظرة إلينا»
والرواية هنا بإفراد «عين» لابتثنيتها .

وقد قال ابن عطية «وقفت الشريعة على أعين[١] وعين ولايجوز أن يقال عينان من حيث لم توقف الشريعة على التثنية» انتهى .

* * *

**(وكمال أعينك)** جاء في تفسير قوله (تجرى بأعيننا)[٢] أى بأمرنا ، وقيل بأوليائنا ، والمقسم على الأول على حقيقته ، وأما على الثانى فإما أن يحمل على التوسل كما تقدم ، أو يقال إنما وقع القسم هنا بكمالهم ، وهو ما انكشف لبصائرهم من جمال الحق وقدس كماله ووصفهم البشرى ، وهو مغمور ومغطى بذلك ، وإلى ذلك يشير ماورد من قولهم «الشأن أن تكون عين الاسم» ، و «أصابتك عين من عيون الله» ، والخطاب من عمر فى حق على رضى الله عنهما حيث أتاه رجل والدم يسيل من شجته ، فقال «ويحك من فعل بك ؟» فقال «على» قال على «رأيته مفاوضا امرأة فأصغيت إليهما فساءنى ماسمعته فشججته» فقال عمر للرجل «أصابتك عين من عيون الله ، وإن لله فى الأرض عيونا» - وفى رواية «فلم أملك حتى ضربته ، فقال عمر : أيها الرجل ... الخ» .

وورد عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى قصة أخرى «لا أقيه من وزغة الله» .

وذلك إشارة منهم لرجال القبضة المتصرفين بالله ، وأهل البصائر الأمناء على أسرار الله فى خلقه ومملكته .

---

(١) قال تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) . وقال سبحانه (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) .
(٢) الآية (تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر) : القمر : ١٤ .

وقد أورد ذلك صاحب نوادر الأصول فى حديث التقرب، وأنه يشير لقبضته تعالى، فيستعمل أهله بالرحمة تارة وبالعدل والحق تارة أخرى. وكان أبو بكر رضى الله عنه من أهل الرحمة، ولذلك ورد أنه يقف عند باب الجنة يدخل الناس، وكان عمر رضى الله عنه من أهل العدل والحق، ولذلك ورد أنه يقف عند الميزان ثم قال: ومن معنى الحديث قول عمر رضى الله عنه، ثم ذكر عنه ماتقدم فى حق على كرم الله وجهه.

* * *

**(قوله حكمة الحكمة البالغة)** هى العلم النافع المؤدى إلى العمل والإصابة فى الأمور.

* * *

**(قوله مع الحياة الطيبة)** قيل القناعة والرزق الطيب الحلال والصواب كونها أعم حتى تصدق بسقوط الخوف بالنظر إلى الحق دون ماسواه والرضا به وعنه، ووجود الكفاية وتحقق الخلافة بإعطاء الكرامة والتمكين فى الأرض على حسب المراتب والله أعلم.

* * *

**(قوله .. وتول قبض أرواحنا بيدك)** هذا كما قيل فى الأخفياء من الأولياء الذين يختص الله تعالى بعلمه أن يتولى قبض أرواحهم بيده فتطيب أجسادهم به فلا يعدى عليها حتى يبعثوا بها مشرقة بنور البقاء المجبول فيهم ببقاء الأبد مع الباقى الأحد عز وجل.

وقد ورد فى الخبر «من واظب على قراءة آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة (وسقط لفظ مكتوبة فى نوادر الأصول) كان الذى يتولى قبض روحه ذو الجلال والإكرام سبحانه» والمراد بذلك صفاؤها بالتجلى

واستغراقها فى الشهود واستهلاكها فى الحب واستئصالها بالغيبة وسلب الشعور بالغير ، وفى ذلك غاية منتهى أمنيتها كما أشار بذلك العارف ابن وفا رضى الله عنه بقوله :

| | |
|---|---|
| من مات قبل الهنا | وله الحياة بلا عنا |
| إن المنية فى الهوى | عند المحب هى المنى |

وله أيضاً رضى الله عنه :

| | |
|---|---|
| إن الذين أحبهم أهل الوفا | من مات فيهم عاش عيش وفاء |
| تلقى بهم سبب الحياة بروحهم | ياحبذاك منيتى بمناء |

وله أيضاً رضى الله عنه :

| | |
|---|---|
| يا فنائى وسلوى جملة | لكما ما دون حبى فخذا |
| ليس لى فى غير حبى حاجة | أيها الغير تنحى هكذا |
| أنا وصلى بحبيبى راحتى | فالذى يشغلنى عنه أذا |
| فإذا غبت عن الغير بمن | هو محبوبى تحققت إذا |
| لم يكن فى الحى حى بعد من | روحه تنشق من حبى شذا |
| كل شىء دون حبى هالك | فحياة الكل حبى حبذا |
| ياحبيبى ووجودى والذى | بوفاه لفؤادى آخذا |
| أنت لى روح وحب وهوى | وحياة وشراب وغذا |

* * *

**(قوله وحل بيننا وبين غيرك ..الخ)**[١] هو كقول شيخه وأستاذه عبد السلام رضى الله عنهما فى صلاته المشهورة «واجمع بينى وبينك وحل بينى وبين غيرك» وذلك يكون بغيبة العبد عن وجوده واستغراقه فى نور شهوده كما أشار إلى ذلك الإمام الجنيد رضى الله عنه بقوله:

**وجودى أن أغيب عن الوجود     لما يبدو علىَّ من الشهود**

وللأستاذ رضى الله عنه فى مقطعاته وأزجاله :

**أنا حين أخلو بمحبوبى     أغيب عن الوجود**
**وأقرأ سر مكتوبى     فى سورة العقود**

يعنى قوله تعالى ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[٢] لأن جميع مايشيرون إليه ويغتبطون به إنما هى أسرار المحبة الحقيقية وفيها مايدق ويضيق عنه نطاق البيان وإنما هى رموز وإشارات يعرفها أهلها ذوقا ووجدا إلا أنها توجد فتعلم، ولاتعلم فتوجد وإنما سبيل غيرهم أن يسلم لهم، ويؤمن بمواهب مولاهم لهم، وتخصيصهم بما به تولاهم، رزقنا الله حبهم، ومَنَّ علينا بالانتظام فى سلكهم والسكون معهم.

***

---

(١) قال الزبيدى: (وحل بيننا وبين غيرك) بالغيبة عن الوجود، والاستغراق فى نور الشهود (فى البرزخ) وهو العالم المشهود بين عالمى المعانى المجردة والأجسام المادية (وماقبله ومابعده) من العالمين المذكورين. ومن حيل بينه وبين الغير فى تلك العوالم الثلاث، فقد فاز، فكأنه طلب الفوز والسعادة الكبرى فى الحيلولة بينه وبين الأغيار فى مبدئه وأوسطه ومنتهاه.

(٢) المائدة : ٥٤ .

**(قوله بنورذاتك)** يعنى بظهورها للبصائر وتمكن سرها من الذوات الكوامل وذلك بنفى الشعور بالإثنينية كما أشار إلى ذلك ابن وفا رضى الله عنه بقوله :

**إن تلاشى الحجاب عن عين كشفى    شهد السر غيبه فى بيانى**
**فاطرح الكون عن عيانك وامح    نقطة الغين إن أردت تدانى**

فقد لوح إلى سر العيان ، وهو مايخرس عنه اللسان ، وهذه الأسرار بذل الأرواح فيها أقل مهرها[1].

---

(١) جاء فى كتاب «قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الأفاق» لجمال الدين محمد أبى المواهب الشاذلى (ص ٣٠) طبعة المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة.
حقيقة المحبة كتمان سر المحبوب ، فيما تجلى على المحب من مشاهدة الغيوب.
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم    وكذا دماء البائحين تباح
وجاء فى «اللمع» لأبى نصر السراج الطوسى : «السر ماغيبه الحق، وأشرف عليه به»
وحكى عن الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله تعالى أنه قال : «أسرارنا بكر لا يفتضها وهم واهم»
وقال يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى : «قلوب الرجال قبور الأسرار» وفى رواية «صدور الأحرار قبور الأسرار»
وعنه أيضاً أنه قال : لو اطلع زرى على سرى قلعته.

هب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة، وافتح أسماعنا وأبصارنا، واذكرنا إذا غفلنا عنك بأحسن مما تذكرنا به إذا ذكرناك وارحمنا إذا عصيناك بأتم مما ترحمنا به إذا أطعناك. واغفر لنا ذنوبنا ماتقدم منها وما تأخر والطف بنا لطفا يحجبنا عن غيرك ولايحجبنا عنك.

اللهم إنا نسألك لساناً رطباً بذكرك وقلباً منعما بشكرك وبدناً هيناً ليناً بطاعتك.

وأغننا بلا سبب واجعلنا سبب الغنى لأوليائك، وبرزخا بينهم وبين أعدائك.

## المشاهدة والمكالمة.. والكرامات الثلاث

- مقام المشاهدة والمكالمة.
- أبو يزيد يفتش عن أبى يزيد
- كيف يُسمع الله كلامه لأنبيائه وأوليائه
- الولى يأخذ بواسطة روحانية النبى ﷺ
- سؤال الفضل بلا علة
- الكرامات الثلاث
- غنى بلا سبب وبرزخ بين الأولياء والأعداء
- ذو القرنين وأهل التمكين أو التصريف
- درجة الاتحاد والإنصاف.. ودرجة الكمالات والكرامات

(قوله وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة) قال الإمام القشيرى فى تفسيره «اعلم أن علم العبد بنفسه ضرورى وعليه ينبنى كل علم استدلالى، فإذا غلب ذكر الله عليه تناقض علمه بنفسه وصار علمه بالله تعالى ضروريا لانتهائه لحالة المشاهدة، واستيلاء سلطان الحقيقة عليه، ويقل عند ذلك إحساسه بنفسه حتى يصير علمه بنفسه، كالاستدلال لما صحبه من الغفلة عن نفسه والنسيان لها، كالغريق فى الشىء لا إحساس له بشىء سوى ماهو مستغرق فيه ومستهلك لديه» انتهى.

وإلى هذا المعنى تشير حكاية أبى يزيد[١] المشهورة حيث سئل عن نفسه فقال (أنا أفتش عن أبى يزيد) فبلغ ذلك بعضهم فقال «ذهب أبو يزيد فى الذاهبين إلى الله تعالى» يعنى كما قال الخليل عليه السلام ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[٢] فأخبر بأن الهدى بعد ذلك. وإنما الهدى هدى الله، فيكون فى أول الأمر ذاهبا إلى الله عز وجل عن عوامل البشرية والشعور بالغير كسير البرد على السحاب، ثم بعده الذهاب فى الله وهو الاستغراق فيه، ولكنه يكون أولا كالبرق الخاطف لايدوم، فإن دام طولع بالوجود الحقيقى وكوفح بشهود الحق على الإطلاق.

***

هذا وقد قال الورتجينى فى تفسيره «إذا أراد الله عز وجل أن يسمع كلامه أحداً من أنبيائه وأوليائه أعطاه سمعا من أسماعه، فيسمع كلامه، كما حكى عليه الصلاة والسلام عن ربه عز وجل أنه قال «فإذا أحببته كنت سمعهُ الذى يسمع به»[٣] وليس هناك الحروف والأصوات بل

---

(١) يقصد أبا اليزيد البسطامى رضى الله عنه.

(٢) الصافات : ٩٩ .

(٣) تقدمت الإشارة إلى هذا الحديث .

يسمعه بحروف القدرة وصوت الأزلية الذى هو منزه عن همهمة الأنفاس وخطرات الوسواس، وليس فى ولاية الأزل من رسوم أهل الإجلال شىء حتى أن هناك السامع والمسمع واحد من حيث المحبة لا من حيث الجمع والتفرق» انتهى: يعنى أن مدد الحب يسلب غلبة حكم الامتياز والغيرية.

وبالجملة فإمدادات الغيب الجارية فى العبد وعليه، منها الخطاب وبها الجواب، كان المكلم والكليم واحداً، ولاشعور للعبد بذلك ولانسبة له فيما هنالك إلا كالمرآة المعلقة إن فرضت لها شعوراً بما يظهر فيها مثلا، فإنها آلة لاغير ومظهر لما يلوح فيها.

* * *

وقد نبه الحاتمى رضى الله عنه على نكتة ينبغى الاحتفاظ عليها حيث قال:

«اعلم أن كل ولى لله تعالى فإنه إنما يأخذ ما يأخذ بواسطة روحانية النبى ﷺ، فمنهم من يعرف ذلك، ومنهم من لايعرفه ويقول قال لى الله وليس غير تلك الروحانية» انتهى.

وهو موافق لما أشار إليه سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه حيث قال «ان الولى إنما يكاشف بالمثال، يعنى كما يرى مثال البدر فى الماء بواسطته، وكذلك الحقائق الغيبية والأمور الإشهادية مجلوة وظاهرة فى بصيرة النبى ﷺ وله عيانا لا مثالا، والولى لقربه منه ومناسبته له ولهديه بهديه، ومتابعته له يكاشف بمثال ذلك فيه، فظهر الفرق وثبتت مزية النبى عليه السلام وانتفى اللبس بين النبوة والولاية، وصح ما أطلق عليه الأولياء من المحادثة والمكالمة، وقولهم: «قيل لى ونوديت فى سرى» وقد أشرنا إلى هذا المعنى فى الكلام على الإذن ووعدنا باستيفائه، وإذا أحطت بهذا كله علما، تحققت واسطة النبى ﷺ وبرزخيته على الإطلاق فى الغيب والشهادة، وذلك معلوم لأهل الله ذوقا، ومتحقق عندهم كشفا، والله أعلم.

(هذا) وإنما طلب واضع الحزب رضى الله عنه مصاحبة المكالمة للمشاهدة لعزازة ذلك واختصاصه بأهل الكمال من الأولياء، والغالب من أحوال الأولياء انفراد أحدهما عن الآخر أو تعاقبهما كما هو مشاهد من أحوال الفقراء بالاستقراء هذا وقد قال تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[١] قال بعض العارفين من المفسرين جنة المشاهدة وجنة المكالمة في الدنيا، ومرجع ذلك لفتح الشريعة والحقيقة والله أعلم.

* * *

**(قوله واذكرنا إذا غفلنا عنك بأحسن مما تذكرنا به إذا ذكرناك وارحمنا إذا عصيناك..الخ)** يعنى لنشهد بذلك وصف الفضل منك بلا علة ومن غير استحقاق فتفتننا بك لا بالأغيار ونزداد محبة فيك وغبطة بك واعتمادا عليك، ونبرأ من الاعتداد بالأحوال والاعتماد على الأعمال وسائر الأسباب.

وقد قال واضع الحزب رضى الله عنه «ما سألت الله شيئاً إلا قدمت إساءتى بين يديه» يعنى ليكون طالبا لفضله تعالى بفضله لا بالاستحقاق، وذلك من التحقق بالفناء به تعالى وقطع الإياس من غيره الذى مرجع الاضطرار إليه، وهو كفيل بالإجابة، والله أعلم.

* * *

**(قوله والطف بنا لطفا يحجبنا عن غيرك ولايحجبنا عنك)** يعنى لأن السكون إلى اللطف حجاب عن اللطيف، وليس الشأن الغيبة عن اللطف فى اللطف · شهود اللطف إذ الشأن فى النعمة أن يكون غنيا فيها بشهود المنعم[٢].

---

(١) الرحمن : ٤٦ .

(٢) قال الزبيدى فى شرح هذه الفقرة «أى ارفق بنا رفقا وبرا يستوليان على القلب بانجذابه إليك بحيث يحجبنا عن غيرك أى يسترنا، فلا يخطر أصلا (هذا الغير)، بل يرينا (أى اللطف) كمال تجليك من غير حائل. ولما كان من جملة معانى اللطف العلم بدقائق المصالح وغوامضها ومادق منها أعقبها بقوله «فإنك بكل شىء عليم» لسريان صفة العلم فى صفة اللطف.

**(قوله اللهم إنا نسألك لسانا رطبا بذكرك وقلبا منعما بشكرك وبدنا هينا لينا بطاعتك)** قال الشيخ الكبير العمدة سيدى أحمد زروق رحمه الله :

هذه الثلاثة الأمور هى الكرامات :

فيثمر ذكره ثلاثا : تنوير القلب ، وتحقق المعرفة ، واتساع الحال .

ويثمر الشكر ثلاثا : طيب الحياة بالرضا ، ومزيد النعمة ودوام العوافى .

ويثمر لزوم الطاعة ثلاثا : حلاوة المناجاة ، ودوام العز بالله فى جميع الحالات ، والنجاة من العلل والآفات» انتهى .

* * *

**(قوله واغننا بلا سبب واجعلنا سبب الغنى لأوليائك)** قد تقدم «والغنى بك حتى لانشهد إلا إياك» وما هنا أخص لأنه طلب التلقى من حضرة الحق بلا واسطة ، وكونه واسطة وسببا فى الإمداد ، فى ذلك لسائر الأولياء ، على ماهو شأن القطب من كونه مظهر الحق من خلقه ومرآة تجليه ، فهو فى ذلك الكون بمنزلة إنسان العين من العين عليه المدار ومن فيض نوره تستمد جميع الأنوار وقد كان رضى الله عنه شهيرا بذلك بين الأولياء .

* * *

**(قوله وبرزخا بينهم وبين أعدائك)**

يعنى حاجزا لهم ومانعا من تسلط أنفسهم وأهوائهم وشياطينهم وسائر قواطعهم عن كمالهم واتصالهم بربهم ، وذلك بقوة ربانية وبصيرة نورانية كما هو شأن أهل التمكين والرسوخ فى الولاية ومرتبة أهل الإمامة ومقام أهل الإرشاد والهداية ومحل الحفظ والرعاية إما للكفاية وهى رتبة القطب أو للبعض وهى رتبة من دونه من الخلفاء والأمناء أهل الغنى بالله

رضى الله عنهم وقد قالوا «ليس الرجل من كمل فى نفسه بل من كمل به غيره ولا من زال الخوف عنه فى نفسه ولكن من زال به الخوف عن غيره».

وقال السيد عبد القادر الجيلانى:

**أنا من رجال لا يخاف جليسهم ريب الزمان ولا يرى ما يرهب**

وقد ورد «هم القوم لا يشقى جليسهم» وقيل «إن لله رجالا إذا نظروا للمرء أكسبوه سعادة».

وقد أشار سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه لنفسه بذلك وشهد له شيخه بذلك كما يوقف عليه فى لطائف المنن وذلك مستمر فى مشايخ كل زمان وكما هو مشاهد.

قال القشيرى رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى فى شأن ذى القرنين رضى الله عنه ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ ﴾[1] «إن ذا القرنين مكن فى الأرض جهرا فكانت تطوى له إذا قطع أجوازها ويسهل عليه إدراج مشارقها ومغاربها ويخطو أقطارها ومناكبها، ومن كان فى محل الأمانة من الأولياء فالحق سبحانه يمكنه فى المملكة، ليحصل عنده همة ما أراد، من حصول طعام أو شراب أو غيره، ومن قطع مسافة، أو استتار عن أبصار، وتصديق مأمول، وتحقيق سؤال، وإجابة دعاء، وكشف بلاء وفوق ذلك يمكنه من تحقيق همة له فى أمره، ثم فوق ذلك فى التمكين فى أن يخص بهمته قوما بما شاءوا ويمنع قوما عما شاءوا، فلهم من الحق تحقيق أصل إذا تصرفوا فى المملكة بإرادة فى سوانح وحادثات، وفوق هذا التمكين إيصال قوم إلى منازل ومحال فالله يحقق فيهم همتهم» انتهى.

وقال الورتجينى فى تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ

(١) سورة الكهف: ٨٤.

الْكِتَـابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ ﴾[١] «كـان القائل به فى درجة الاتحاد[٢] والأنانيـة والانصاف وعين الجمع وجمع الجمع[٣]، لأن المتصف بالقدرة تجرى عليه تصاريف الملك لغيره رجوعا إلى الله بنعمة العبودية والخضوع والدعاء، كـصنع من كـان فى محل العبـودية، لأن من شـاهد الربوبيـة تجـرى عليـه أوصـاف الربوبيـة بغيـر اختيـار وتكلف، وإذا أراد شيـئاً أن يقـول له كن فيكون. فإذا سأل أجيب فيحصل مراده بالدعاء فهو فى درجة الكمالات والكرامات لا فى درجة الاتحاد والاتصاف» اهـ.

وقال الأستاذ أبو المكارم سيدى محمد البكرى الصديقى رضى الله عنه «وعند الوصي من ألواح النسب الوجودية بالغرقة فى الأنوار الشهودية كل شىء كنت فيه غائبا فالحق عن ذلك الشىء فليس لك إفاقة أو تنفيه فشأنك والحال مـاذكـر شـأن الهـوية الحـاكـمـة القـاهرة الغـالبـة على الأوصـاف الكونيـة.» اهـ. وأشار بقوله «شأنك والحال ماذكر شأن الهوية» إلي مانبه عليـه الشيـخ أبو الحسن رضى الله عنه بقوله «العزيز من الناس من رسخ فى علم الهوية وتصرف فى حكم المشيئة لا بالهوى والشهوة والطبيعة» اهـ.

---

(١) النمل: ٤٠.

(٢) الاتحاد هو شهود الحق من غير حلول أو ملابسة كما يحدث من الأجسام للأجسام.

(٣) الجمع: شهود الحق بلا خلق. فالجمع اتصال لايشاهد صاحبه إلا الحق، فمتى شاهد غيره فما جمع، والتفرقة هو ما يكون كسبا للعبد من إقامة العبودية وما يليق بأحوال البشرية. فالجمع أصل والتفرقة فرع. وكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل

أصل الجمع والتفرقة فى قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو) فهذا جمع.

ثم فرق فقال (والملائكة وأولو العلم)

وقوله (آمنا بالله) جمع.. ثم فرق بقوله (وما أنزل إلينا).

ويقولون: فلان فى عين الجمع، يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه، فإذا عاد إلى شىء من أعماله عاد إلى التفرقة. فصحة الجمع بالتفرقة، وصحة التفرقة بالجمع، فهذا يرجع حاصله إلى أن الجمع من العلم بالله، والتفرقة من العلم بأمر الله ولابد منهما.

(التصوف الإسلامى الخالص للسيد محمود أبى الفيض المنوفى ص ١٦٢).

وجمع الجمع: شهود الخلق قائماً بالحق، ويسمى الفرق بين الجمع. وهذا يتحقق بالفناء. يقول القشيرى: التفرقة شهود الأغيار لله عز وجل، والجمع شهود الأغيار بالله، وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية، وفناء الإحساس بما سوى الله عز وجل عند غلبات الحقيقة.

اللهم إنا نسألك إيماناً دائماً ونسألك قلباً خاشعاً ونسألك علماً نافعاً، ونسألك يقيناً صادقاً، ونسألك ديناً قيما، ونسألك العافية من كل بلية، ونسألك تمام العافية، ونسألك دوام العافية، ونسألك الشكر على العافية، ونسألك الغنى عن الناس..

ونسألك المحبة الجامعة..

وفك وثاقنا من المعصية، ورهاننا من النعمة بمواهب المنة..

ونعوذ بك من المعصية وأسبابها..

وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها..

# خاتمة الفرج

- دعاء أبي ذر بكلمات عشر
- المحبة الجامعة.. ووثاق المعصية.. ورهان النعمة
- ستر الخاصة وستر العامة
- رأفة الحبيب بحبيبه
- الإحسان مع البغض.. والإساءة مع الحب
- يؤيد الله الدين بالرجل الفاجر
- قصة بلعام بن باعوراء.. وبرصيصا
- إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنبه
- الوجوه المسفرة

**(قوله اللهم إنا نسألك إيمانا دائما.. إلى قوله الغنى عن الناس)** هو خاتمة الفرج الذى رواه جعفر الصادق رضى الله عنه وعن أسلافه الكرام.

وقال فى نوادر الأصول بسنده عن رسول الله ﷺ أنه أتى جبريل عليه السلام، فبينما هو عنده إذ أقبل أبو ذر رضى الله عنه، فنظر إليه جبريل عليه السلام قال: قلت يا أمين الله أتعرفون اسم أبى ذر؟ قال نعم. والذى بعثك بالحق إن أبا ذر أعرف فى السماء منه فى الأرض وإن ذلك بدعاء يدعو به فى كل يوم مرتين تعجبت الملائكة منه فادع به واسأله عن دعائه فقال رسول الله ﷺ يا أبا ذر دعاء تدعو به فى كل يوم مرتين. فقال نعم فداك أبى وأمى ماسمعته من بشر وإنما هى عشرة أحرف ألهمنى ربى إياها إلهاما وأنا أدعو به فى كل يوم مرتين استقبل القبلة فأسبح الله مليًا وأحمده مليًا وأكبره مليًا ثم أدعو بتلك العشر كلمات «اللهم إنى أسألك إيمانا دائما وأسألك قلبا خاشعا، وأسألك علماً نافعا وأسألك يقينا صادقا وأسألك دينا قيما وأسألك العافية من كل بلية وأسألك تمام العافية وأسألك دوام العافية وأسألك الشكر على العافية وأسألك الغنى عن الناس قال جبريل عليه السلام: «يا محمد والذى بعثك بالحق لايدعو أحد من أمتك بهذا الدعاء إلا غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر أو عدد تراب الأرض ولايلقى الله أحد من أمتك وفى قلبه هذا الدعاء إلا اشتاقت إليه الجنان واستغفر له المكان وفتح له أبواب الجنة فنادته الملائكة يا ولى الله ادخل من أى باب شئت[1].

**قال الحكيم الترمذى قوله «إيمانا دائما»** والدوام على وجهين: وجه أن يدوم له توحيده حتى يختم له بذلك، فلا يسلبه، فيلقى ربنا بإيمانه فيدوم له ذلك أبداً والوجه الآخر أن يكون بعين بصيرته أمور لا على المعاينة ولاينقطع ذكر الله عن قلبه على كل حال. ومنه قول أبى الدرداء رضى الله عنه حيث بلغه أن فلانا أعتق ألف رقبة فقال «إيمانا ملزوما بالليل

(١) رواه الترمذى.

والنهار ولسانا رطبا بذكر الله أفضل من ذلك» قال ابن رواحة «الإيمان مثل قميصك بين أنت لبسته إذ أنت نزعته وبين أنت نزعته إذ أنت لبسته فإذا دام الإيمان على القلب دام الذكر».

ومن ها هنا قال معاذ رضى الله عنه تعالى «حتى نؤمن ساعة» فكان القوم يطلبون دوام الإيمان على قلوبهم. ومن هاهنا قال رسول الله ﷺ «أشد الأعمال ذكر الله على كل حال» فكان القوم يتفقدون هذا من أنفسهم أن تكون كما أمر لأن النعمة من الله تعالى أن يجدوا دوام ذلك الإيمان على قلوبهم فى وقت النعمة وكذلك فى البؤس والشدة فيكونوا عند أحكامه عليهم فى الأحوال مطمئنين به كما اطمأنوا به ربا، فهذا دوام الإيمان.

وقال أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه «ليأتين على الرجل أحايين وما على جلده موضع إبرة من الإيمان» معناه ما وصفناه بدءا أنه يصير قلبه خاليا من ذكر كل شيء، وينفرد بالفرد الواحد فيأنس به فيطمئن إلى حكمه فلم يبق شيء من النفاق وإذا غلبت عليه شهوته أو رغبته أو رهبته أو عمت فملكته نفسه صار إيمانه فى قلبه كشمس قد انكسفت فذهب ضوؤه فجاءت النفس بظلمتها ودواعيها فإنما سأل إيمانا دائما أى يدوم له شمسه فلا ينكسف حتى يكون صدره مستنيراً بنور اليقين فى كل الأمور، ا.هـ.

* * *

**(قوله قلبا خاشعا)** فهو الذى قد ماتت شهواته فذلت النفس لله وخشع القلب بما طالع من جلال الله تعالى وعظمته.

* * *

**(قوله علما نافعا)** فهو العلم الذى قد تمكن فى الصدر وتصور أن ذلك النور إذا أشرق فى الصدر تصورت الأمور حسنها وسيئها ووقع لذلك ظل

فى الصدر فهو صورة الأمور، فيأتى حسنها ويجتنب سيئها. فبذلك العلم النافع من نور القلب خرجت تلك العلائم إلى الصدور وهى علامات الهدى. والعلم الذى قد تعلمه فذلك علم اللسان، إنما هو شىء قد استودع الحفظ، والشهوة غلبت عليه وأحاطت وأذهبت بظلماتها ضوءه.

**قوله (ويقينا صادقا)** فاليقين على وجهين أن يوقن يقينا ينفى الشك ولايغلب الشهوة وهو يقين التوحيد. واليقين الآخر نور مشرق للصدر غالب للشهوات صارت له أمور الدنيا والآخرة وأمر الملكوت معاينة قد ورث قلبه الخشية والمحبة والهيبة والتعظيم لله.

***

**قوله (ودينا قيما)** فالدين القيم الخضوع لله بأمره ونهيه وأن يكون سيره إليه فى الشريعة على سبيل الاستقامة لازيغ فيها ولابدعة كما وصف الله عز وجل فى التنزيل فقال ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[١] فأمروا أن يعبدوا الله فيحلوا ما أحله ويحرموا ما حرمه ويؤدوا الفرائض ويجتنبوا المساخط فإذا دان لله بغير ما شرعت الشريعة لم يقبل منه وليس ذلك بالدين القيم بل هو ساقط، هذا أدناه. وأعلاه أن يدين لله تعالى فلا يلتفت إلى أحد سواه، فيكون هو ثقته وملجأه ومفزعه، ولا يطمئن إلى أحد سواه، فيكون هو متعلَّق قلبه، فهذا هو الدين القيم[٢].

***

(١) البينة : ٥ .

(٢) قال الزبيدى : (ونسألك دينا قيما) وله مرتبتان، أدناهما السير فى الشريعة على الاستقامة، وأعلاهما أن يدين إلى الله تعالى ولايلتفت إلى سواه، وهو ثمرة صدق اليقين.

**قوله (ونسألك العافية من كل بلية)** والبلاء على ثلاثة أضرب :

منها تعجيل عقوبته للعبد، ومنها امتحانه ليبرز مافى ضميره فيظهر لخلقه درجته أين هو من ربه، ومنها كرامة ليزداد عنده كرامة وقربة[١]. ثم ضرب لذلك أمثلة ثم قال «ونسألك العافية من ذلك» كله.

* * *

**والعافية :** أن يكون فى كل وجه من هذه الوجوه إذا حل به شىء من ذلك أن لايكله إلى نفسه ولايخذله وأن يكلأه ويرعاه فى كل هذه الوجوه. هذا وجه.

والوجه الآخر أن يسأله أن يعافيه من كل شر وشدة فإن الشدة إنما يحل أكثرها من أجل الذنوب فكأنه سأله أن يعافيه من البلاء ويعفو عن الذنوب التى من أجلها تحل الشدة بالنفس فقد قال ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[٢] وقال ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ ﴾[٣].

* * *

**قوله (ونسألك دوام العافية)** بأن تدوم له ولاتنقطع و«تمام العافية» بأن تكون العافية عافية المزيد بل لا شوب فيها[٤].

* * *

و**(الشكر على العافية)** فإن الشكر، به ترتبط النعمة، ويجلب المزيد.

* * *

**قوله (والغنى عن الناس)** وإنما يستغنى عن الناس إذا استغنى بالله ففيه الخروج من الرق إلى الحرية ومن لم ينقطع طمعه عن الخلق فهو على خطر عظيم من أمر الله وهو مفتون اهـ . كلام الإمام الترمذى والله أعلم.

* * *

---

(١) قال الزبيدى : «ونسألك العافية من كل بلية» أى دنيوية وأخروية.

(٢) الشورى : ٣٠ . (٣) السجدة : ٢١ .

(٤) قال الزبيدى: تمام العافية بسكونها إلى الله تعالى.

**(قوله والمحبة الجامعة)**[١] يعنى السالبة للتفرقة والبينونة بما تقتضيه من المعية والوصلة واعتبر بحديث التقرب وفى بعض رواياته فإذا أحببته كنت له الخ وأما حديث المرء مع من أحب[٢]» فهو شهير.

* * *

**(قوله وفك وثاقنا من المعصية ورهاننا..)** يحتمل العطف على المنصوب قبله فيكون اسما ويحتمل كونه فعل أمر فهو من عطف المفرد على الأول ومن عطف الجمع على الثانى وبحسب ذلك فما بعده إما منصوب على المفعولية أو مخفوض بالإضافة كما هو ظاهر.

ثم إن المعصية بصورتها تمنع من النهوض والإقبال على الحق لتشديدها، ومن السير لتقييدها وتثبيطها عياذا بالله الكريم من ذلك[٣].

ثم إن الوقوف مع النعمة حجاب عن شهود المنعم كما قال الإمام الجنيد رضى الله عنه «حجاب قلوب الخاصة المختصة، برؤية النعم، والتلذذ بالعطاء، والسكون إلى الكرامات» اهـ.

وفى كل من ذلك شؤم القطيعة والتفرقة، لكنه فى المعصية أشد فلذلك استعار لها الوثاق وللأخرى الرهان، والتخلص من ذلك كله عناية الله لعبده، ثم اللجأ إلى الله وصدق الافتقار إليه والفرار مما سواه ورؤية النعم منه والفزع إليه فى أداء شكره، ذلك كله من عبده بجوده[٤].

---

(١) ذكر الزبيدى «والمحبة الكاملة» بخلاف ماورد فى نسخ الحزب الأخرى.

(٢) حديث (المرء مع من أحب) متفق عليه.

(٣) قال الزبيدى: «وفك» «وثاقنا» أى قيدنا الذى شددتنا به «من» أجل «المعصية» أى لاتوثقنا بقيود معاصيك، لأنها تمنع السلوك إلى الحق، كما أن القيد يمنع السير الظاهر.

(٤) قال الزبيدى: سمعت بعضا من الإخوان يقرأ «ورهاننا من النقمة» بالقاف ويقول إن له وجها صحيحا، وكأنه يريد أن النقمة هى عقوبة المجرم بمبالغة، وقد صار مرتهناً بها، فطلب من الله تعالى فكاك رهنه عن العقوبة بمحض المنة، بحيث تمحى جرائمه، فلا يعاقب عليها. وهذا مع ركاكته وعدم لياقته مخالف للرواية الصحيحة المشهورة، فتأمل ذلك.

(**قوله ونعوذ بك من المعصية وأسبابها..الخ**) أنبأ فى هذا الطلب عن حال الخُلَّص الذين مقصدهم التخلص والإخلاص ووجود السلامة من أسباب الانتقاص وقد قال فى الحكم «الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون الستر من الله فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق، والخاصة يطلبون الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق».

* * *

(**قوله وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه**) قال الجوهرى «الرأفة أشد من الرحمة» قال أبو زيد «رؤفت بالرجل أرؤف به رأفة ورآفة ورأفت به ورئفت به أرأف كل من كلام العرب فهو رؤوف على فعول» اهـ.

فاقتضى أنه مثلث الماضى وأن مضارعه بالضم فى فعل المضموم وبالفتح فى الباقى والأمر جار على المضارع فيضبط الأمر الواقع هنا بالضم والفتح.

* * *

**قوله (فالإحسان لاينفع مع البغض منك)**

شاهده أن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر[1] وغير ذلك كقصة

---

(١) قال النبى صلى الله عليه وسلم عن رجل معه فى خيبر أنه من أهل النار. فقاتل الرجل أشد قتال. فجاء رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وذكر له قتاله فقال النبى صلى الله عليه وسلم «أما إنه من أهل النار» فكاد بعض المسلمين يرتاب. وكثرت جراح الرجل وزاد ألمه فانتزع سهما وانتحر به، فاشتد رجال من المسلمين حول الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا له: يا رسول الله صدَّق الله حديثك قد انتحر فلان فقتل نفسه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يابلال قم فأذن لايدخل الجنة إلا مؤمن. وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» - البخارى.

بلعام[١] وبرصيصا[٢] ومايحكى عن شيخ قضيب البان من سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى.

وقد قال عليه الصلاة والسلام «والأعمال بالخواتيم»

وفى الحِكَم «لا صغيرة إذا قابلك عدله» ولا كبيرة إذا واجهك فضله».

وفى الحديث «من نوقش الحساب عذب»[٣].

* * *

(١) هو بلعام بن باعوراء بن باعر بن أيد بن مارت بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهى مدينة الجبارين. وقصة بلعام على ماذكر ابن عباس وابن إسحق والسدى والكلبى وغيرهم أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بنى كنعان، أتى قوم بلعام إلى بلعام، وكان عنده اسم الله الأعظم، فقالوا له إن موسى رجل حديد وجاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا وأنت رجل مجاب الدعوة، فادع الله أن يرد عنا موسى وقومه. فقال لهم بلعام ويلكم هذا نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم، وأنا أعلم من الله ما أعلم وإنى إن فعلت ذلك ذهبت دنياى وآخرتى. فلم يزالوا به حتى قال لهم اصبروا حتى أستأمر ربى. وكان لايدعو حتى ينظر ما يؤمر به فى المنام، فقيل له فى المنام «لاتدع عليهم» فذكر هذا لقومه، فراجعوه، فقال حتى أومر ثانيا فآمر فلم يجب، فقالوا له لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما فعل فى المرة الأولى، فلم يزالوا يرفقون به ويناشدونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن، فقالوا لبعضهم اهدوا إليه ، فأهدوا إليه هدية فقبلها ويقال إن فى شأنه نزل قوله تعالى «واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها» الأعراف : ١٧٥ .

(٢) برصيصا هو الذى نزل في حقه قوله تعالى فى سورة الحشر «كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برئ منك إنى أخاف الله رب العالمين» وكان برصيصا راهبا فى الفترة، تعبد الله فى صومعته سبعين سنة، لم يعص الله فيها طرفة عين، حتى أعيا إبليس. تركت عنده امرأة أصابها لمم ليدعو لها، فزين له الشيطان فوطئها، فحملت، ثم قتلها خوفا أن يفتضح، فدل الشيطان قومها على موضعها، فجاءوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه، فجاء الشيطان، فوعده أنه إن سجد له أنجاه منهم، فسجد له فتبرأ منه فأسلمه.

(٣) عن عائشة رواه البخارى ومسلم - والطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن الزبير بلفظ هلك».

**(قوله والإساءة لاتضر مع الحب منك وقد أبهمت الأمر علينا)** شاهده حديث «إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنبه»[١] ذكره فى القوت فى كتاب المحبة.

وفى الصحيح «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم قد غفرت لكم» وسببه معلوم.

وفى القوت أيضاً عن زيد بن أسلم «إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول له اصنع ماشئت قد غفرت لك».

وفى نوادر الأصول على حديث «هؤلاء للجنة ولا أبالى فى قبضة اليمين، وهؤلاء للنار ولا أبالى فى قبضة الشمال»؟ قال: «يريد - والله أعلم - بقوله ولا أبالى أى لا أبالى بما يعملون من خير أو شر، فأقبل خيرهم وأغفر شرهم كما قال ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[٢] وهو الوعد الذى وعدهم حيث ضرب بيده إليهم جل ثناؤه ثم قال لهم «أنتم لى عملتم أو لم تعملوا»، وكان أيضاً النور الذى ألقى عليهم فى البدء دون الآخرين» اهـ.

قال فى القصد «يبلغ الولى مبلغا يقال له أصحبناك السلامة وأسقطنا عنك الملامة فاصنع ماشئت». ومصداقه قوله تعالى فى حق سليمان عليه الصلاة والسلام ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣] وهذا

---

(١) حديث أنس «إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب. والتائب من الذنب كمن لاذنب له» ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده فى مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثانى من حديث ابن مسعود.

(٢) الاحقاف : ١٦ .

(٣) ص : ٣٩ .

وإن كان للنبى من حيث العصمة، فلمن كان من الأولياء فى مقام الأمانة فسقط منه من أجل الحفظية.

وقد قال واضع الحزب رضى الله عنه فى دعاء له[١] «وأدرج أسمائى تحت أسمائك وصفاتى تحت صفاتك، وأفعالى تحت أفعالك، درج السلامة وإسقاط الملامة وتنزل الكرامة وظهور الأمانة». يعنى ليكون بالله فيما يأتى ويذر كما نبه عليه حديث التقرب، ورجاله رجال القبضة الذين هم بالله فيما يأتى ويذر كما نبه عليه حديث التقرب، ورجاله رجال القبضة الذين هم بالله عز وجل تصريفا وتكليفا وقد تقدمت الإشارة إلى هذا فى الفرق بين معصية الولى وغيره، وحاصل ذلك عدم العزم على القبيح ابتداء، ونفى الإصرار عليه انتهاء، فالتوبة لازمة لاتنفك عنه، وهى ماحية للذنوب ماحصلت قبل الموت. فلا تضر معها الذنوب الماضية. وقد تقدم سؤال سر الأسرار المانع من الإصرار[٢] وعليه يصدق قوله عليه السلام «إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب».

وفى نوادر الأصول أيضاً «من خصه من أهل بالتقرب بالجلال والجمال وقد أقيم فى الهيبة والأنس قدرا غاب عن خوف العقوبة ولكن يخاف التحويل والهوى والسقوط لما ركب فى نفوس بنى آدم من الشهوات، فهو أبدا يهوى بما أحبه عن الله إلى الإخلاد والبطنة، وإنما يسكن خوف التحويل إلا إذا خلص إلى الفردانية، وتعلق بالوحدانية ليتلاشى الهوى منه والشهود بكشف الغطاء ولايذهب خوف ذلك وإن سكن لبقاء خيال ذلك فى حق غير الأنبياء أما الأنبياء فلم يبق لهم ظل الهوى، فبشروا بالنجاة فلم تضرهم البشرى لأنهم لم يبق لهم نفوس فتثور وتجردت إذ أمنت السقوط، ومن بعدهم بقى لهم فى نفوسهم شىء فمنعوا البشرى

(١) راجع المفاخر العلية، طبعة ١٩٦١، مصطفى الحلبى، ص ٢١٨.
(٢) تراجع فيما سبق من هذا الكتاب.

وأبهم عليهم الأمر منعا لهم ونظروا فى أحوالهم لتكون أنفسهم منقمعة بخوف الزوال، هذا هو الأصل فافهمه، هذا بعد أن قرر أن الشوق وحزن القلب من أجله لايذهب عن المجذوب المحدَّث، وإن كان بينه وبين مولاه من الأسرار ما يسكن عنه خوف التحويل، وإنما يتوهم ذلك من وقف فى الجلال والجمال فسكن شوقه بلذة ما نال من القرب فانظره.

* * *

(**قوله وأسفر وجوهنا بنور صفاتك**) يعنى أضئها وأشرقها بنور أوصافك حتى تنظر إليك وبك وتبقى ببقائك.

قال ابن عطيه على قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴾[١]. أسفر تلك الوجوه نظرها إلى مولاها وأضحكها رضاه عنها.

قال ابن طاهر «كشف عنها ستور الغفلة فضحكت بالدنو من الحق واستبشرت بمشاهدته».

* * *

(**قوله ولا أقل من ذلك**) الواقع فى الحديث «طرفة عين» وأما «ولا أقل من ذلك» فهى وإن لم تقع فهى مراده له ومنه، لأن مقصوده دوام الكلاءة والحفظ على الإطلاق.

---

(١) عبس: ٣٨.

يامن هو هو، هو فى علوه قريب

يامحيطا بالليالى والأيام. أشكو إليك من غم الحجاب، وسوء الحساب، وشدة العذاب، وإن ذلك لواقع ماله من دافع إن لم ترحمنى.

لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ولقد شكا إليك يعقوب فخلصته من حزنه ورددت عليه ماذهب من بصره..

# هأنذا عبدك

- الإشارة إليه تعالى باسم «هو»
- تنزيه الله عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة
- وصية عبد السلام بن مشيش لأبى الحسن الشاذلى
- أشرق نور الله فى قلوب أوليائه.
- إحاطته بالليالى والأيام
- الشكوى من غم الحجاب
- سؤال الرحمة
- دعاء ذى النون
- فضل الله على أنبيائه وأصفيائه
- كلام فى حال البسط والإدلال
- من دعوات أبى العباس المرسى
- دعاء الحسن بن على عند باب المسجد

**(قوله يامن هو هو)** قال القشيرى فى تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَـــدٌ﴾ «يقال كاشف تعالى الأسرار بقوله هو، والأرواح بقوله الله، وكاشف القلوب بقوله أحد، وكاشف نفوس المؤمنين بباقى السورة، ويقال خاطب الوالهين بقوله هو، والموحدين بقوله الله، والعارفين بقوله أحد، والعلماء بقوله الصمد، والعقلاء بالباقى»(١).

ثم قال «ويقال خاطب الذين هم خاصة الخاصة بقوله هو فاستبقوا، ثم خاطب الخواص بقوله الله فاستقلوا، ثم زاد فى البيان من نزل عنهم فقال أحد، ثم لمن نزل عنهم بالصمد، كذلك لمن دونهم» ا هـ.

ثم قال «وفي نوادر الأصول» هو اسم لا صفة من الهوية وخرجت الصفات أى «هو» إشارة القلب إلى المعروف الموصوف. ألا ترى إلى قوله (هو) ثم قال (الله الذى لا إله إلا هو) ثم قال الخالق فهو أصل الأسماء وإليه يشير القلب لأنه الباطن الذى لايدرى كيفا ولايدرك ا هـ.

والحاصل أن الإشارة بهو مختصة بأهل الاستغراق والتحقق فى الهوية الحقيقية فلا يطابق بحر الأحدية عليهم وانكشاف خط بحر الوجود الحقيقى لديهم فقدوا من يشار إليه بهو إلا هو لأن المشار إليه لما كان واحدا كانت الإشارة مطلقة لاتكون إلا إليه لفقد ماسواه فى شعورهم، لفنائهم عن الرسوم والبشرية بالكلية وغيبتهم عن وجودهم وعن إحساسهم وأوصافهم الكونية وذلك غاية فى التوحيد والإعظام، منحنا الله ذلك على الدوام وجعلنا من أهله ببركة رسوله عليه الصلاة والسلام.

* * *

(١) قال الشيخ الأكبر «اعلم أن الهوية سر الإلهية وهو عبارة عن موجود أزلى منفرد بصفة الجلال والكمال، و(هو) أول كلمة دعا الله عباده إليها بقوله (قل هو) فتم الكلام. ثم قال (الله) وهو الاسم الجامع مع الخاص الدال على الذات الأحدية بجميع أجزائه الحرفية وحقائقه الوصفية».

**(قوله هو فى علوه قريب)** يعنى لإحاطته بالأشياء بنعت كونه «الأول والآخر والظاهر والباطن».

قال بعضهم «الحق تعالى منزه عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة ومع ذلك لايخلو منه أين ولا مكان ولا كم ولا كيف ولا جسم ولا جوهر ولا عرض لأنه للطفه سار فى كل شىء، ولنورانيته ظاهر فى كل شىء ولاطلاعه إحاطته بكل شىء فكيف بكل كيف غير متقيد بذلك ومن لم يدر هذا ولم يشهده فهو أعمى البصيرة محروم عن مشاهدة الحق» ا هـ.

وقال سيدى محمد وفا رضى الله عنه :

| | |
|---|---|
| **تعالى الله قيوم البرايا** | **مفيض الكل فى الجزء المفيد** |
| **تجلى فى تمثله بوجه** | **نزيه فى المراد وفى المريد** |
| **هو الحق المحيط بكل شىء** | **هو الرحمن ذو العرش المجيد** |
| **هو النور المبين بغير شك** | **هو الرب المحجب فى العبيد** |
| **هو المشهود فى الأشياء يبدو** | **فيخفيه الشهود عن الشهيد** |
| **هو العين العيان بكل غيب** | **هو المقصود فى البيت القصيد** |
| **جميع العالمين له ظلال** | **سجود فى القريب وفى البعيد** |
| **وهذا القدر فى التحقيق كاف** | **فكف النفس عن طلب المزيد** |

وقال الشيخ القطب سيدى عبد السلام رضى الله عنه مخاطبا لوارثه رضى الله عنه فى وصية له وحده «انظر ببصر الإيمان تجد الله تعالى فى كل شىء وعند كل شىء ومع كل شىء وقبل كل شىء، وبعد كل شىء وفوق كل شىء وتحت كل شىء وقريبا من كل شىء، ومحيطا بكل شىء بقرب هو وصفه، وبحيطه هى نعته، وعُدْ عن الظرفية والحدود، وعن الأماكن والجهات وعن الصحبة والقرب والمسافات، وعن الدور بالمخلوقات وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو هو هو كان الله ولاشىء معه وهو الآن على ماهو عليه كان» ا هـ.

ونبـه بقوله وعـد الخ على أن ماجـرى فى كـلامـه من الظروف ليـست بزمانيـة ولامكانيـة لأنهـا من جـملة الأكـوان وإنما هى أمـور دقيـقـة فاعـتقـد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك بقوله عز وجل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وسلم ذلك لأهله لأنهم على بصيرة فيـما رمزوا إليـه مما ذاقـوه ووجـدوه بل هو من مـحض الإيمان وخـالص العـرفـان وهو حقيـقة التـوحيد وصـفو الإيمان . وأما قـوله «وهو الآن على ماهو عليـه كان» وإن لم يرد فى الحديث فهو صحيح من جهة أن الشىء إنما يتعدد بوجود مثله ويشـفع بشكله . وفى الحـقيـقة لاوجود للأشياء معه تعالى وإنما هى كالخيال ووجود الظلال فلا تنسخ أحديته ولاتدفع فردانيته وبالجملة فمن غلب عليه شهود الأحدية وكوشف بسر الوحدانيـة واستغرق فى الحقيـقة العيـانيـة انقطع عن الشعور بنفسه وغاب عن السوى بالكليـة وإن رد إلى الشعور به رآه قائما به وظاهرا فيه وبه وحكما من أحكامه .

وقد نبـه على ذلك فى الحكم بقوله «الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيـه فـمن رأى الكون - بغيـر أن رد إلى رؤيتـه - ثم لم يشـهـده فيـه أو عنده أو قبله أو بعده فقـد أوزعـه بل أعـوزه وجـود الأنوار وحـجبـت عنه شموس المعارف بسحب الأثار» .

وقـولـه فى لطائف المنن بعـد كـلام «أشـرق نوره فى قلوب أوليـائه واستنارت بـه سمـوات أرواحـهـم وأرض نفـوسـهـم وأشـبـاحـهـم إليـه دون السمـوات والأرض نور سـمـوات الأرواح بمشـاهدته ونـور أرض النفـوس بمطالعته وخدمته وجعل قلوبهم مجالات لذاته ولظهور صفاته وأظهرهم ليظهـر فيـهم بأنوراه وأسـراره كـمـا ظهـر فيـهـم وفيـمـا عداهم بقدرتـه واقتداره ا هـ.

وقال الشيخ أبو زيد البخارى فى كتابه ( شمس القلوب ) وإذا صحب القلب التـوفيق صار مـسـرجا يستـصبح فتيلتـه من أنوار الكرامـة فترق الزجاجة بعد كثافتهـا ويظهـر النور من جـوانبهـا من شـدة رقـة صـورتهـا

فتحسبه نورا بلا زجاجة لما رقت صورة الزجاجة وبرقت تشاكل، تميز صورة الزجاجة من النور فلما غاب الفهم عن تمييز الزجاجة من النور امتحق الشعور بالفناء ولما ظهر النور من جوانبها وفاض وقع فناء الشعور بالفناء فى فناء آخر وفقد الشعور بهما جميعا فغاب كل محدث وبقى كل من لم يزل فالنور إذا ظهر من جوانب الزجاجة وفاض لم يحجبه عن الله سماء ولا أرض ولا كرسى ولاعرش ولا شىء من الحوادث وإنما تحجبه كثافة صورة الزجاجة لاغير فإذا ظهر النور من جوانبها ضاها فى المثل نور العين إذا انفتحت جفونها، واقتباس نور الزجاجة من النور الأعلى ومنه كان اقتباس كل قلب أيد بالخصوصية فمنه اقتبس الرسل عليهم الصلاة والسلام فأورثهم منصب النبوة والرسالة ومنه اقتبس الأولياء رضى الله عنهم فأورثهم درجة الولاية. فالرسل فى المثل شمس والنبيون قمر والأولياء كواكب. فبالشمس يستضاء وبالقمر يستنار وبالنجم يهتدى فالرسل حجة الله على عباده وأمناؤه فى أرضه، والأولياء رحمة منه على خلقه. اهـ.

وما أوضحه من التمثيل بالزجاجة سبقه إلى مثله الجنيد فقد سئل عن التوحيد فأنشد فى المعنى:

| | |
|---|---|
| رق الزجاج وراقت الخمر | فتشابها فتشاكل الأمر |
| فكأنما خمر ولا قدح | وكأنما قدح ولا خمر |

والبيت الأخير يشير إلى الغيبة والحضور وعلى الجملة فكل ذلك مقتبس من القرآن، وضرب المثال لنوره تعالى فى قلب المؤمن بالمصباح فى الزجاجة وهو جلى عند كل ذائق فاض سره وأشرق قلبه وتجلى له ربه. وفى مقطعات التسترى وأزجاله كثير من الإشارة إلى مراده.

* * *

(**قوله يا محيطا بالليالى والأيام**) منادى منصوب لأنه شبيه بالمضاف فتعلق المجرور به وإحاطته تعالى بالليالى والأيام وبكل شىء معلومة فقد

قال تعالى ﴿ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾(١) ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾(٢) ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾(٣) وقد قال واضع الحزب يوما بين يدى أستاذه رضى الله عنهما «اللهم اغفر لى يوم لقائك» فقال له هو أقرب إليك من ليلك ونهارك ولكن الظلم أوجب الضلال وسبق القضاء حكم بالزوال عن درجات الأنس ومنزلة الوصال وللظالم يوم لايرتاب فيه ولايحتال والسابق من ضل فى الحال ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾(٤).

* * *

**(قوله أشكو إليك من غم الحجاب)** أى أستعيذ بك من وقوعه وأستعيذ بك منه وهو حقيق أن يستجار بالله منه وأن يلجأ إلى الله في رفعه ودفعه لأنه مانع للعبد من سعادته وكماله، وقطع له عن حياته ووصاله وحط له عن أوج ارتفاعه فى أطوار ارتقائه وإلى حضيض دركات طبعه وانتقاله فى شهواته وهواه وحظوظه وبعده عن استقامته فى فطرته. وفى الحكم «النعيم وإن تنوعت مظاهره إنما هو بشهوده واقترابه والعذاب وإن تنوعت مظاهره إنما هو بوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب وإتمام النعيم بالنظر إلى وجه الله الكريم».

* * *

**(قوله وإن ذلك لواقع ماله من دافع إن لم ترحمنى)** يعنى أن الحجاب وماذكر معه وتسبب عنه من كل عذاب يواجهه العباد واقع بهم إن لم تدركهم الرحمة منه تعالى وقد قال تعالى ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾(٥) الآية وفى الحديث «ان يدخل

---

(١) فصلت : ٥٤ . (٢) الطلاق : ١٢ . (٣) الجن : ٣٨ .
(٤) مريم : ٣٨ . (٥) النور : ٢١

أحـدكـم الجنـة بعـمـلـه» قـالوا ولا أنت يارسـول الله قـال «ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته»[١]. وفى الحكم «لو أنك لاتصل إليه إلا بعد فناء مساويك وترك دعاويك لم تصل إليه أبدا ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه».

* * *

**قوله** ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[٢] أتى بهذه الآية عقب شكواه من غم الحجاب وماذكر معه، لما ورد أنه لم يدع بهذا رجل مسلم فى شىء قط إلا استجيب له وأنه لكل من المؤمنين إذا أصابه هم أو استقبله غم نجاه الله منه كما نجى ذا النون لقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] وفيه إشارة إلى أن الإيمان كان فى الاتجاه مع اللجأ والاعتراف والاستسلام وقال فى نوادر الأصول «أنه مادعا بدعاء ذى النون هذا مسلم فى شىء إلا استجيب له» كما ورد فى الحديث. ثم قال وهذا لمن أصابه غم الذنب، فنادى من الغم كما ناداه العبد الصالح فنجاه من الغم فمن لم يكن له غم الذنوب فنادى بها لم يدخل عندنا فى الوعد الذى قال الله ﴿ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلا أن يتفضل الله والله أعلم.

* * *

**(قوله ولقد شكا إليك ...الخ)** كل ماذكره معلوم من قصص القرآن ولكن استشهد به لسابق حسن عوائده تعالى مع أنبيائه وأصفيائه استجلابا لفضله تعالى فى تذكر سابق فضله تعالى وكرمه، مع ما يثيره من قوة الرجاء من العبد فى ربه وحسن الظن به لوفور جوده وكرمه

---

(١) رواه أحمد فى مسنده «لن يدخل أحدكم الجنة إلا برحمة الله».

(٢) الأنبياء : ٨٧ .

(٣) الأنبياء : ٨٨ .

وحسن معاملته مع عباده بمحض الفضل الذى لا يتخلف لعلة ولا سبب. ولقد قال تعالى مخبرا عن زكريا عليه السلام ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾[1] يعنى أنك عودتنى الإجابة فيما سبق فكما لم تخيبنى فيما مضى فلم تخيبنى فيما يأتى؟ أى لم تكن تشقنى بالرد فإنه يقال لكل من سعى فى أمر فبطل سعيه فقد شقى وإذا أدرك فقد سعد به وهو توسل لفضله تعالى كما تقول «أحسن إلينا كما أحسنت إلينا عام أول» لأن ذلك – أعنى الجود – وصفك ففيه الثناء بوصف الجود. وذلك يقتضى العطاء لما فيه من الاستعطاف وماتضمنه من الاعتراف الذى هو حقيقة الشكر الكفيل بالمزيد. هذا وقد تقدم «والشقى حقا من أحرمته مع كثرة السؤال لك» والكلام عليه.

* * *

**(قوله فأنا حقيق به)** يعنى لما علم ماجبل عليه العبد وطبع من غاية النقص الذاتى المناسب لغاية الإقصاء والإبعاد من جانب الحق وحضرة قدسه ومحل قربه لولا عنايته تعالى وتدارك رحمته. على أنه بكل حال لايقدر قدر ربه فهو من أجل ذلك يستحق المقت والعذاب فيما يظن أنه عين الأدب، ويستجلب العطب فيما به قد يتقرب لأن عبادة العالم بأسره بالنسبة لعظمة المعبود وماهو عليه من الرفعة والجلال وما يقتضيه من الاعظام، كمن يقتصر فى خدمة ملك من الملوك يستحق أن يخر له على وجهه على أن يشير إليه بأصبعه. ولذلك شرع «الله أكبر» فى الصلاة مع تضمينها الخضوع للمعبود وتعظيمه إشارة إلى أنه أكبر من ذلك العظيم. ولكنه تعالى برأفته ورحمته رضى من العبد بما هو منه، ويستحيل أن يصل نفعه إليه. هذا فى الطاعة فكيف بالمعصية فهو أجدر بالمقت من أجلها. على أن الكل ملك له تعالى ولا حجر عليه فى تصرفه فى ملكه بما شاء

---

(١) مريم : ٤ .

وكيف شاء ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾(١). وقد قال مخبرا عن عيسى عليه السلام ﴿ إن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٢). هذا وقد تقدم أن الحجاب سبب فى كل عذاب والنقص البشرى سبب له لزوما لولا تدارك الرحمة الإلهية التى لاعلة لها والله أعلم.

* * *

(**قوله إلا لمن أحسن إليك**) رأيت بخط سيدى عبد النور رحمه الله تعالى على قوله (إليك) «هذا وكذا على قوله أساء إليك بعد ماصورته كذا، وذلك لأنه محل الإشكال، وتوهم المخالفة لقوله تعالى ﴿ إنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ ﴾(٣).

وكذا وجدت منسوبا لسيدى عبد الله بن عياد ما نصه ينبغى أن يسقط إليك من قوله «أحسن وأساء» لأنه لايحسن أحد إلى الله ولا يسىء إليه. بدليل قوله ﴿ إنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾(٤). غير أنه لايقدر أحد أن يبدل لفظ الشيخ رضى الله عنه. لأنه يرى بنور الولاية ما لايراه غيره».

وقد قال رضى الله عنه أيضاً: «كثيراً وما رأيت فى النسخ الصحيحة مكتوبا على هذا الفصل «من كان له مع الله بسط حال إدلال فليتم بهذه الكلمات ومن ليس له ذلك فليجاوزها إلى مابعدها من قوله ربنا ظلمنا أنفسنا» اهـ.

---

(١) الأنبياء: ٢٣.
(٢) المائدة: ١١٨.
(٣) الإسراء: ٧.
(٤) الإسراء: ٧.

وقال البرزلى «رأيت فى بعض النسخ على هذا الموضع وهى التى قد أخذناها عن شيخنا الحسن البطوينى عن الشيخ أبى العزائم سيدى ماضى عن الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه يسلم لهذا الشيخ فى هذا الموضع ولايقاس عليه» ا هـ.

هذا وقد يقال قد أومأ الشيخ فى هذا المحل لدفع هذا الوهم والمخالفة بقوله «وأنت المفضال الغنى» وإنما جاء الكلام كذلك على سبيل الفرض بالنظر لصورة الحال وما يقصده العبد من النصح لجناب الحق والوفاء لما يستطيعه ويقدر عليه فى عزمه وصميمه ووجود ضد ذلك منه فقد جاء النظر لصورة الظاهر واعتباره فى الشرع كقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[١] الآية مع أن إطلاق ذلك فى حقه تعالى إنما هو على سبيل المجاز لتعذر الحقيقة فى ذلك ويشهد لذلك الحديث الإلهى «ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى» الحديث[٢].

وقال فى نوادر الأصول «النصح لله تعالى هو الإقبال عليه بالعبودية فإن من شأن العبد أن يرفض جميع مشيئاته لمشيئة مولاه» ثم قال «فيكون فى سره وعلانيته قد آثر الله على هواه وآثر حق الله على شهوات نفسه وهذا النصح لله» فإذا خالط فيه ماليس منه، كانت العبودية لله مغشوشة والغش ضد النصح. ثم قرر أن هذا التعريف في حق المقتصد وأما المقرب الملاحظ فى الأمور لله لما هو عليه من ذكر الله، فالحظوظ فى حقه حقوق لأنه مع تدبير الله. ا هـ.

هذا وفى دعاء لواضع الحزب رضى الله عنه «واجعلنا برحمتك جميعا من المقبولين وإن كنا زائغين فإن النقاد يسمحون وإن كانوا عارفين فأنت

---

(١) الأحزاب : ٥٧ .

(٢) من حديث قدسى أوله «إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرما بينكم» رواه مسلم وابن حبان والحاكم.

أولى بذلك منا وأنت أكرم الأكرمين وأجود الأجودين».

وفى حزب وارثه سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه «إلهى كم من حسنة ممن لاتحب لا أجر لها وكم من سيئة ممن تحب لاوزر لها فاجعل سيئاتى سيئات من أحببت ولاتجعل حسناتى حسنات من أبغضت فإن كرم الكريم مع السيئات أتم منه مع الحسنات فأشهدنى كرمك على بساط رحمتك» وهو قريب من الواقع هنا فى الحزب والله أعلم.

وقد قال تعالى ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾[١] وفى الصحيح قال النبى عليه الصلاة والسلام «أتى الله عز وجل بعبد من عباده آتاه مالا فقال له ماذا عملت في الدنيا ولايكتمون الله حديثا . قال يارب آتيتنى مالك فكنت أبايع الناس وكان من خلقى الجواز فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر» وفي رواية كان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، فقال الله عز وجل «أنا أحق بهذا منك تجاوزوا عن عبدى فتجاوزوا عنه»[٢].

وجاء فى الحديث الدعاء بيا حسن التجاوز وغير ذلك وفى القرآن (خير الغافرين) وكان الحسن بن على رضى الله عنهما إذا أتى بباب المسجد رفع رأسه وقال «إلهى عبدك ببابك . يامحسن قد أتاك المسىء، وقد أمرت المحسن منا أن يتجاوز عن المسىء، فأنت المحسن وأنا المسىء، يا متجاوز تجاوز عن قبيح ماعندى بجميل ما عندك ياكريم» اهـ.

فإذا علم هذا ومثله من موارد الشرع فى حقه تعالى ووعده تعالى بذلك وإخباره به عن نفسه فسؤال ذلك وحكايته والإخبار بحقيقته وتصوير حقيقته والتعلق بذلك الفضل الموعود به الذى هو أحق به بل هو

---

(١) الرعد : ٦ .

(٢) رواه مسلم بألفاظ مقاربة - راجع الكنز الثمين فى أحاديث الأمين لعبد الله بن محمد الصديق - ص ٧ ، حديث ٣٩ .

أحق به بل لاينبغى لغيره، وإنما خلقه فى غير دلالة عليه وتصويرا لفضله مع كونه أثرا من آثار رحمته لأدرك على مستعمله ولا خلل يتوهم عليه على أن الكلام خرج مخرج الدلالة لما قبله فكأنه قال «ليست رحمتك موقوفة على الطاعة ولا كرمك مخصوصا بالمطيع» توقف المسبب على السبب وترتبه عليه واختصاصه به عقلا جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل وتقدس فضله وغناه عن خلقه وعن أعمالهم عن ذلك وأشار إلى ذلك بقوله «وأنت المفضال الغنى» وكذا «الرحيم العلى» ففى ذلك التنزيه اللائق به تعالى من رحمته لعبده فى غيب علوه واقتداره مع عصيانه وعدم اختصاص رحمته وفضله بالمطيع لغناه عن طاعته وهذا كله تصوير لغاية المجد والكمال.

وفى حديث مسلم فيما يرويه عليه الصلاة والسلام عن ربه «ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيئا» ثم قال «إنما هى أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1]. وفى التفسير فى قوله تعالى إخبارا عن عيسى عليه السلام ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2] ولم يقل الغفور الرحيم، قال «لأنه لايغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد حكمه» وهو العزيز أى الغالب. ثم وجب أن يوصف بالحكيم على سبيل الاحتراز، لئلا يتوهم أنه خارج عن الحكمة، يعنى مافى ذلك من الإشارة للإضراب عن الأسباب والعلل فى بساط التحقيق حيث لم يقل إن تعذبهم فقد استحقوا ذلك واستوجبوه بإساءتهم والله أعلم.

---

(١) من حديث «إنى حرمت الظلم على نفسى...» وقد تقدم.
(٢) المائدة: ١١٨.

يا هو يا هو يا هو..

إن لم نكن لرحمتك أهلا أن ننالها، فرحمتك أهل أن تنالنا..

يارباه.. يارباه.. يارباه..

أغثنا.. أغثنا.. أغثنا... يارب ياكريم..

وارحمنا يابر يارحيم.. يامن وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم

# رحمتك أهل أن تنالنا

- «هو».. نهاية التحقيق
- الإشارة بـ«هو» مختصة بأهل الاستغراق
- رحمة الله أهل أن ينالها العصاة
- أحب صوت إلى الله.. صوت عبد لهفان ينادى «يارباه»
- سبب دعاء أبى الحسن الشاذلى «يا من وسع كرسيه..»
- مقام المشاهدة والمراقبة والحضور..

**(قــوله ياهو)** قال صاحب التحبير[١] اعلم أن هذا الاسم موضوع للإشارة و«هو» عند الطائفة إخبار عن نهاية التحقيق و «هو» يحتاج عند أهل الظاهر إلى صفة تعقبه ليكون الكلام مفيدا لأنك إذا قلت هو ثم سكت لايكون الكلام مفيدا حتى تقول قائم أو قاعد أو حى وما أشبه ذلك . فأما عند القوم إذا قلت «هو» فلا يسبق إلى قلوبهم غير ذكر الحق جل جلاله فيكتفون به عن كل بيان لاستهلاكهم فى حقائق القرب وذلك باستيلاء ذكر الله على أسرارهم وامتحائهم عن شواهدهم فضلا عن إحساسهم بمن سواه . ا هـ.

قال القشيرى : وقد قدمنا أن الإشارة بهو مختصة بأهل الاستغراق والتحقيق فى الهوية الحقيقية فلا نطابق بحر الأحدية عليهم وانكشاف الوجود الحقيقى لديهم فقدوا من يشار إليه بهو إلا هو ، لأن المشار إليه لما كان واحدا كانت الإشارة المطلقة لاتكون إلا إليه لفقد ماسواه هذا مقتضى حال القوم من وجدانهم وذوقهم فهو عندهم اسم مستقل بمعناه لاضمير غيبة كما هو موضوع فى أصله بل نقل وصار العرف عندهم بإطلاقه على الله كإطلاق سائر الأسماء الظواهر . ولذلك ساغ نداؤه وإدخال «يا» عليه وليس هو عندهم ضمير غيبة فيعترض بأنه لم يسمع فى كلام العرب إلا نداء ضمير الخطاب على خلاف فيه حتى قال الإمام أبو حيان فى شرح التسهيل «فكلام جهلة الصوفية فى قولهم (ياهو) و (ياذا) ليس جاريا على كلام العرب وذلك بناء منه على أنه ضمير غيبة فى كلامهم لجهله بحالهم ومقاصدهم والحكم على الشىء فرع عن تصوره ومن جهل شيئاً عاداه . وقد قيل لاتجعلوا لأهل الظاهر حجة على أهل الباطن ، فمن نسبهم إلى الجهل فهو أحق به لأنه كذب بما لم يحط به علما . وقد قال تعالى

(١) كتاب «التحبير فى التذكير» للإمام القشيرى.

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾(١) . فمن اعترض عليهم من غير ذوق لحالهم فقد تعدى طوره وجهل قدره .

* * *

**(قوله إن لم نكن لرحمتك أهلا أن ننالها فرحمتك أهل أن تنالنا)** يعنى إن لم يكن لنا وصف الاستحقاق لنيل الرحمة من جهة النقص الذاتى لنا ، فلرحمتك أهلية الإنالة لإطلاقها وعدم تعليقها . وتلخيصه أن عدم الأهلية كما هو ذاتى فى العبد لنقصه فكذلك أهلية الرحمة للإنالة المطلقة ذاتى لكماله تعالى وغناه على الإطلاق .

قال فى نوادر الأصول «إن لم نكن معشر العصاة المذنبين أهلا لرحمته أن ننالها فرحمته الواسعة أهل أن تنالنا» .

* * *

**(قوله ياربياه)** قال فى نوادر الأصول بسنده إلى رسول الله ﷺ أنه قال «مامن صوت أحب إلى الله من صوت عبد لهفان» قالوا «يارسول الله وما اللهفان» ؟ قال «عبد أصاب ذنبا فكلما ذكر ذنبه امتلأ قلبه فرقا من الله فقال ياربياه» .

قال الحكيم هذا نداء توجع وحرقة . وكذا يعرف أهل اللغة أنهم إذا أرادوا ينادوا بتوجع وصلوها بمد وهاء فقالوا «يافلاناه» ليبرز التوجع فى المد ويكون الهاء معتمدا ، يسكت عليه ، فيكون المد أنينا وأسفا .

فانظر كيف صرح بأنه نداء توجع فيكون على هذا من باب الندبة لأنها من نداء متوجع عليه ومتوجع منه . والمتوجع منه إما لكونه محل ألم كقوله :

«فوا كبدى من حب من لايحبنى»

---

(١) الإسراء : ٣٦ .

وإما لكونه سبب ألم كوامصيبتاه ووارزيتاه، ومن هذا يارباه لأنه نداء إشفاق وفرق من المنادى أن يعذبه بذنوبه ويؤاخذه بها. ومثله ما رأيته بخط الغسانى وهو من أشياخ القاضى عياض معلقا على قول بنت النضر ابن الرشانى شعرها الذى كتبت به إليه ﷺ لما انصرف من بدر وقد قتل أباها النضر بعد أبيات وهو :

**أمحمد ولدتك خير نجيبة    فى قومها والفحل فحل معرق**

يروى أمحمد بالرفع وبالنصب وعليه أرادت يامحمدا نداء ندبة . ا.هـ.

فصرح فيه بالندبة وليس متفجعا عليه بل هو متوجع منه لكونه سبب ألم كما قررناه فى يارباه. لكن انظر ماقاله الغسانى مع قول النحاة أن الندبة لاتكون إلا بياء أو واو ثم إنه لايتعين فى يارباه ونحوه أن يكون من باب الندبة إذ يحتمل الاستغاثة، وقد نص غير واحد من النحاة على أن لام الاستغاثة يعقبه الألف فيقال يالزيد ويازيدا ولايجتمعان. ويجوز معها أن يأتى بعد الألف بهاء السكت كما فى الندبة ساكنة ويجوز تحريكها فى الوصل تشبيها بهاء الضمير وكذلك فى الندبة. وأما قوله يامولاه فإنه يجرى فيه ماتقدم.

* * *

(**قوله يارب**) الرواية فيه بضم الباء بناء على أنه معروف بالقصد والإقبال لا على معنى الإضافة، وبذلك يتجه ويتضح كونه مفيدا للربوبية المطلقة العامة لا المخصوصة بالمتكلم على ماتقتضيه الإضافة فيكون مع الإطلاق أبلغ وأمدح.

(**قوله يامن وسع كرسيه السموات والأرض ..الخ**) فى ابن الصباغ بعد ذكره حكاية الشيخ رضى الله عنه مع سلطان تونس وما وقع له معه على يد ابن البراء رضى الله عنه قال «فهممت أن أدعو على السلطان» فقيل له

«إن الله لايرضى لك أن تدعو بالجزع من مخلوق» فألهمت أن أقول «يامن وسع كرسيه السماوات والأرض..) إلى قوله «قدير»[١].

* * *

(١) كان الأستاذ الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه يتعبد فى الشاذلة ثم قيل له : يا على اهبط إلى الناس ينتفعون بك» فدخل تونس وسكن بمسجد البلاط وأقام به مدة إلى أن اجتمع إليه خلق كثير، فسمع به الفقيه أبو القاسم بن البراء، وكان فى ذلك الوقت قاضى الجماعة فأصابه منه حسد كثير، فتوجه إليه ليناظره فلم يقدر على التمكن منه . فقال للسلطان : إن ههنا رجلا من أهل شاذلة سواق الحمير يدعى الشرف، وقد اجتمع إليه خلق كثير، ويدعى أنه الفاطمى ويشوش عليك فى بلادك.
واجتمع السلطان بابن البراء وجماعة من الفقهاء، وجلس السلطان خلف حجاب، وحضر الشيخ، وسألوه عن نسبه مرارا والشيخ يجيبهم عليه والسلطان يسمع وتحدثوا معه فى العلوم كلها فأفاض عليهم بعلوم أسكتهم بها، فما استطاعوا أن يجاوبوه عنها.
فقال السلطان لابن البراء هذا رجل من أكابر الأولياء، ومالكم به طاقة. فقال له : والله لئن خرج فى هذه الساعة ليدخلن عليك أهل تونس ويخرجوك من بين أظهرهم، فإنهم مجتمعون على بابك، فخرج الفقهاء وأمر الشيخ بالجلوس. ثم دخل على الشيخ بعض أصحابه، فقال له : ياسيدى يتحدثون فى أمرك ويقولون يفعل به كذا وكذا من أنواع الأدب. وبكى بين يديه. فتبسم وقال : والله لولا إنى أتأدب مع الشرع لخرجت من ههنا وأشار بيده، فمهما أشار إلى جهة انشق الحائط. ثم قال له : ائتنى بإبريق وسجادتى وسلم على أصحابى، وقل لهم: مانغيب عنكم إلا اليوم خاصة، وما نصلى المغرب إلا معكم إن شاء الله تعالى. فأتاه بما أمره فتوضأ وتوجه إلى الله سبحانه وتعالى.
يقول الأستاذ رضى الله عنه : فهممت بالدعاء على السلطان، فقيل لى إن الله لايرضى لك أن تدعو بالجزع من مخلوق. فألهمت أن أقول : يا من وسع كرسيه السموات والأرض ولايؤوده حفظهما وهو العلى العظيم. أسألك الإيمان بحفظك إيمانا يسكن فى قلبى من هم الرزق وخوف الخلق... إلى إنك على كل شىء قدير.
وكان عند السلطان جارية من أعز جواريه فأصابها فى ذلك اليوم وجع فماتت من ساعتها وأصيب السلطان بسببها، وغسلت فى بيت سكناها وبخروا أكفانها، واشتغلوا بدفنها ونسوا المجمرة فى القبة، فاحترق جميع مافى القبة من الفرش والملابس والذخائر والأموال وذلك لايحصى ولايعد، فعلم السلطان أنه أصيب من أجل هذا الولى. فقام الملك بصحبة أخيه إلى الشيخ، وجعل أخو الملك يقبل يديه ورجليه ويسأله الصفح. فقال له الشيخ : والله إن أخاك لايملك لنفسه نفعا ولاضررا، ولاموتا ولاحياة ولانشورا. كان ذلك فى الكتاب مسطورا. وخرج أخو الملك فى صحبة الشيخ حتى وصل إلى داره. فانظر كيف ألهم الشيخ هذا الدعاء، وببركته رد الله كيد الكائدين فى نحورهم.

**(قوله واقرب منى بقدرتك ...الخ)** يعنى قرب كشف وعيان من غير كيف ولا أين، وتنزل بلا حلول كما قال تعالى (ثم دنا فتدلى) وهو إشارة للتجلى.

وفى البخارى من رواية شريك «دنا الجبار رب العزة» يعنى دُنوا يليق بجلاله وبمجده. والآية واردة فى حق الرسول ﷺ، ولورثته من الأولياء قسط من ذلك، لأن ذلك من معنى القرب والازدلاف الذى مرجع الولاية إليه وإن كانت فيه ﷺ على وجه أتم وأكمل، بل لايمكن أن تكون ولاية كولايته، ولاقرب كقربه. لكونها على الجملة موهبة رحمانية محصنة، ومحبة اصطناع وتخصيص واختصاص من الله الكريم لعبده المخصوص بقربه وحبه وليس للكسب فيه مدخل، بل أثر من آثار رحمة الله وقدرته. وبقدر انصباغ العبد بذلك النور، وانغماسه فيه، وتحققه به، يبعد من الوسائط، وتتلألأ فى عينه الأسباب، ويجد السكينة والطمأنينة إلى رب الأرباب، فلا يركن لسواه، ولايعتمد إلا عليه.

وفى دعاء لواضع الحزب رضى الله عنه «وهب لى من نور قدرتك ما يطمئن به قلبى كإبراهيم خليلك. أنت إلهى، بك أكون لك، فأسألك بذلك سعادة لا أشقى معها بمطالعة غيرك، إنك على كل شىء قدير»[١].

وفى بعض توجهاته أيضاً «ياسميع ياعليم ياقريب يامجيب يامحيط يادائم أنت الله الذى أسمعتنى لذيذ خطابك، وتقربت إلىَّ بكشف حجابك، ورحمتنى من حيث أنت بما أردت بإجابتك فوجدتك محيطا دائما، فانتفى المحاط به، مع دوامك».

ثم قال «إلهى أنت أقرب إلىَّ من تمييز عقلى، ومن تصديق قلبى، ومن محبة روحى، ومن شهادة سرى، فأعوذ بك من حجابى بصفاتى إلهى

(١) المفاخر العلية، ص ٢٤٣.

قربك أشتاق إليه من حيث أنت، فلا تحجبنى عنه من حيث أنا، لا إله إلا أنت، تُقدم من شئت لما شئت بما شئت، إنك على كل شيء قدير»[١].

وفى توجه آخر له «جلت أوصافك عن الحدوث، فكيف أكون معك؟ وتنزهت عن العلل فكيف أكون قريبا منك؟ وتعاليت عن الأغيار، فكيف يكون قوامى بغيرك؟» ا هـ.

وفى الحكم «قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه، وإلا فمن أين أنت ووجود قربه»

وقال أيضاً: «إلهى ما أقربك منى وما أبعدنى منك».

وفى دعاء لسيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه «ياقريب، أنت القريب وأنا البعيد، قربك آيسنى من غيرك، وبعدى عنك ردنى للطلب لك، فكن لى بفضلك حتى تمحو طلبى بطلبك ياقوى ياعزيز ياعلى» ا هـ.

* * *

**هذا مايسره الله تعالى مما امتن به على عبده من الكلام على بعض فوائد الحزب وأسراره وشرح شيء من مقفلاته، وفتح باب من مغلقاته، والله سبحانه ولى الهداية والتوفيق، وهو الهادى إلى سواء الطريق، وصلى الله على نقطة عين الوجود، والسبب فى أصل كل موجود، أكمل خلق خلقته. وأنور نور أشرقته، هادى القلوب بعد الضلال، وسيد النبيين بالتفصيل والإجمال. أحمد الفعل والفعال صلى الله عليه وعلى آله، ماتعاقب الملوان، وسلم تسليما كثيرا، والحمد لله على كل حال.**

---

(١) المفاخر العلية، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

# رسالة

## في قوله تعالى

## ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾

للإمام العالم العارف بالله تعالى
تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم
**ابن عطاء الله السكندري**
رضي الله عنه وأرضاه

نقلها وراجعها وحققها
**محمد عطية خميس**

بسم الله الرحمن الرحيم

## هذه الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

زيادة في النفع، رأينا أن نختم هذا الكتاب، بهذا البحث المشرق الذى عثرنا عليه، والمنسوب إلى ابن عطاء الله السكندرى، والذى تكلم فيه عن قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾.

وقد نقلنا هذه الرسالة عن المخطوطة رقم ٨١ تصوف بدار الكتب المصرية، والتى لم يسبق نشرها من قبل على مانعتقد، والله أعلم.

وابن عطاء الله السكندرى هو المالكى مذهبا وقيل كان شافعيا، والشاذلى طريقا، تلميذ الشيخ أبى العباس المرسى، ثم تلميذ الشيخ ياقوت العرش رضى الله عنهم أجمعين.

كان رضى الله عنه من كبار العارفين بالله تعالى، عالى القدر، من عمدة الرجال فى كلام القوم، لكلامه حلاوة فى النفوس، نفع الناس بإشاراته. واشتهرت بين القوم عباراته. وله مؤلفات من أهم مراجع طلاب الحقيقة والشريعة، منها كتاب «الحكم» وكتاب «التنوير فى إسقاط التدبير» وكتاب «لطائف المنن» وكتاب «مفتاح الفلاح» وغير ذلك.

وهذا البحث رأينا تقديمه اليوم، لعلاقته بحزب البر، إذ أنه تناول الآية الكريمة التى استهل بها الإمام أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه حزبه المبارك موضوع الشرح فى هذا الكتاب.

وهذا البحث لانقطع بصحة نسبته إلى ابن عطاء الله السكندرى، وإن

كنا نرجح صدوره منه، فهو من كبار الشاذلية الذين يواظبون على هذا الحزب، وقد أشار إلى هذا الحزب فى كتابه لطائف المنن. والغالب أن رجلا وليا صالحا عارفا بالله تعالى كابن عطاء الله لايمر على آية الاستهلال لهذا الحزب مرورا عابرا، وإنما يتدبر فى ألفاظها ومعانيها، فيفيض الله عليه من الإشراقات، ويفتح عليه من أبكار المعانى، مايدفعه إلى كتابة مثل هذه الرسالة، أو إملائها على أحد تلاميذه.

فإذا أضفنا إلى ماتقدم، أن حلاوة أسلوب الرسالة، وسمو عباراتها، ودسامة معانيها، ومافيها من إشراقات وفتح، هى نفس سمات كتابات وكتب ابن عطاء الله، استطعنا أن نطمئن إلى أن هذه الرسالة قد صدرت منه، كما ذكرت دار الكتب المصرية.

والذى جعلنا نقول إن الرسالة منسوبة لابن عطاء الله، أن الجزء الأخير منها، من أول قوله «بصير ببصر، متكلم بكلام.. إلى آخر الرسالة» منقول بحروفه وألفاظه وعباراته عن الرسالة القشيرية من الفصل المعنون «وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم فى مسائل التوحيد» والقشيرى أسبق من ابن عطاء الله بأكثر من مائتى عام.

هذا كما لاحظنا أنه لم يكن هناك مايدعو إلى إضافته هذا الجزء الأخير لهذا البحث، علاوة على عدم وجود ترابط بينه وبين ماقبله من كلام.

والراجح عندى أن ابن عطاء الله، كان يشرح فعلا ويتكلم عن الآية الكريمة، وكان أحد تلاميذه يكتب مايملى أو مايقول، ثم انتقل الأستاذ إلى الكلام فى موضوع آخر، أو انتقل إلى مطالعة جزء من الرسالة القشيرية، دون أن يتنبه الكاتب إلى هذه «النقلة» فى الحديث والموضوع.

هذا هو رأيى فى هذا البحث، وأسأل الله التوفيق والقبول لى ولكم، والسلام.

محمد عطية خميس

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال الشيخ الإمام العارف المحقق تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندرى.

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

رتب سبحانه وتعالى استحقاق السلام عليهم على مجيئهم للرسول صلوات الله عليه، وكأنه يقول : إذا جاءوك فسلم عليهم نيابة عنى، فإن سلامك هو سلامى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾(١).

ثم اعلم أن المجئ إليه ليس معناه الإتيان إليه فى زمن حياته، بل معنى المجئ إليه طاعته وموافقته والإذعان لحكمه والتسليم لأمره، فمن كان بهذه المثابة فقد جاءه وإن لم يدرك زمنه، لأنه إن فاتته رؤيته فما فاته مجيئه، فمن اتبع شرعته ولزم سنته، فهو مبلغ السلام من ربه على لسان رسوله وإن تطاولت الأعصار، وبعدت الآثار.

* * *

فإن قيل فما مناسبة السلام هنا ؟ قيل لأنهم لما رجعوا إلى الإنابة بعد أن كانوا معرضين، وإلى الاستقامة بعد أن كانوا حايدين، علم أنهم يطالعون ماسبق لهم من المخالفات، ويتذكرون مافعلوه من السيئات،

---

(١) الفتح : ١٠ .

فيوجب ذلك الوحشة لهم لأجل ماقدموا ولعظيم ما اجترموا فأراد أن يرخى عليهم ذيل الستر والإحسان ويبسط لهم بساط الأمن والامتنان، ففاتحهم بالسلام أنموذجا على ما أعد لهم من الإكرام.

قال بعض العارفين: إنما يسلم عليهم لأنهم كانوا فى غيبة سفرة الجفا، فلما قدموا إلى حاضرة الصفا، سلم عليهم لأنهم قد وفدوا إليه، ولأنهم ارتحلوا من نفوسهم إليه، ولأن السلام يدل على وجود الأمان ممن برز منه السلام، فكأنه يقول «إذا جاءوك معتذرين من الخطايا، متنصلين منها، فسلم عليهم نيابة عنى سلاما يوجب أمنهم من قطيعة الجفا ومن تكدير مشارب الصفا». وأيضاً فإنهم كانوا قبل مجيئهم إليه تحت قهر نفوسهم، فلما جاءوا للرسول صلوات الله عليه وسلامه، جاءوا لها قاهرين، وعليها منتصرين، فسلموا من جورها، ومن رقائق نكرها، فلذلك سلم عليهم إشارة إلى أن مجيئكم إلينا كانت سلامتكم، وسلامنا عليكم ظهر من كرامتكم، ولأنهم كانوا قبل مجيئهم إليه لنفوسهم مستندين، وعليها معتمدين، فوكلوا إليها إذ من توكل عليها وكل إليها. فلما جاءوا إلى الرسول وأنسوا به، جعلهم الله فى معاقل صونه، فأيدهم بنصره وأمدهم بعونه. ولأن السلام منه عليهم استجلابا للمحبة منهم له. قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على أمر إن أنتم فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[1].

* * *

ثم إنه جاء سبحانه بنسبة الإيمان لهم بصيغة تقتضى الدوام والاستقرار والثبوت، فلم يقل: «وإذا جاءك الذين آمنوا». وإن كان محالا أن يأتوه إلا وقد آمنوا بآيات ربهم، إذ المجئ إليه كما تقدم تقريره ليس إلا

---

(١) الحديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولاتؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم. أفشوا السلام بينكم. - (رواه مسلم).

موافقته وطاعته ليدل على أن شأنهم دوام الإيمان وثبوت الإيقان، ولغاية جليلة أيضاً. وذلك أنه لو قال: «وإذا جاءك الذين آمنوا بآياتنا»، لم يكن ذلك متضمنا إلا الإيمان بآيات سبق ظهورها، لابما يظهره من الآيات بعد ذلك. فلما قال (يؤمنون) أفاد ذلك أنهم يؤمنون بما ظهر لهم وبما لم يظهر لهم إذا حصل ظهوره لأجل ماتم عليه من نور اليقين، ولما بدوا به من قوة التمكين. ومن ها هنا قال صلوات الله عليه وسلامه ذكر أن بقرة فيمن كان قبلهم تكلمت، فقال الصحابة: «سبحان الله!!» متعجبين. فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه «آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر» وهما غائبان[1].

واعلم أن مطلوب الله منك أن تكون مؤمنا به ومؤمنا له. وإيمانك له فرع عن إيمانك به. لأن إيمانك به أن تؤمن بألوهيته ووحدانيته، وبما يجب له سبحانه، ويستحيل عليه[2]. وإيمانك له، قبول مايرد منه وطاعته والانقياد لحكمه. وقد جاء التنزيل مثبتا للإيمان بالله والإيمان له.

قال الله عز وجل: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾[3] أى آمن بحقيقته وثبوته.

---

(١) روى البخارى فى باب ماذكر عن بنى إسرائيل وباب حديث الغار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس فقال: بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث، فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم. فقال: فإنى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وماهما ثَمَّ. وبينما رجل فى غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب حتى كأنه استنقذها منه. فقال الذئب: هذا استنقذتها منى، فمن لها يوم السبع يوم لا راعى لها غيرى. فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم. قال: فإنى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، وماهما ثم» - ورواه أيضاً مسلم والترمذى.

(٢) الواجب فى حقه تعالى إجمالا هو اتصافه بكل كمال، وتفصيلا عشرون صفة هى: الوجود والقدم والبقاء، ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه والوحدانية والقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وكونه تعالى قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما. والمستحيل عليه سبحانه، إجمالا تنزهه عن كل نقص، وتفصيلا أضداد الصفات العشرين المذكورة.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

وكذلك قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾(١) .

فأما الإيمان بالله فكما تقدم .

والإيمان بالملائكة هو التصديق بأنهم عباد الله ، وأنهم مكرمون عنده . والإيمان بالكتب بنسبتها إلى من أنزلها ، وتعظيمها لعظمة من أرسلها .

والإيمان بالرسل أنهم المبشرون والمنذرون عن الله ، والقائمون بأمر الله . وأما الإيمان له فهو قبول أمره بعد التصديق بوحدانيته وألوهيته .

وكذلك أيضاً واجب عليك أن تؤمن بالرسول وأن تؤمن له . فإيمانك به أن تعلم أنه رسول الله . وإيمانك له قبولك لأمره وانقيادك لحكمه . وقد نفى الله سبحانه الإيمان برسول الله إلا لمن آمن له . فقال سبحانه ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٢) . أى فلا وربك لايؤمنون بك حتى يؤمنوا لك . وقد قال الله سبحانه ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾(٣) أى انقاد لحكم إبراهيم وأذعن له . وحكى عن قوم نوح أنهم ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾(٤) . أى فنكون قد شاركناهم فى الانقياد إليك ، ونكون قد تبعناهم فى الإيمان لك ، فقد فهمت أن الإيمان بالله غير الإيمان لله ، وكذلك الإيمان برسول الله غير الإيمان له .

وإذا تكرر هذا فاعلم أن الإيمان هو ثبوت العلم بالله والتصديق بوحدانيته وألوهيته مع انتفاء الشكوك المعارضة للعلم . وله ثمرة منتجة وثمرة مستنتجة ، فأما المثمر له فهو بعين الحقيقة هداية الله ، وبمشهد الشريعة رسول الله . يدل على الأول قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ . (٢) النساء : ٦٥ .
(٣) العنكبوت : ٢٦ . (٤) الشعراء : ١١١ .

أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾(١). ويدل على الثانى قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٢). وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾(٣) على أحد التفسيرين، فهداية عباده متوقفة على هدايته سبحانه، وهدايته سبحانه لاتتوقف على شىء، إذ له كمال الاقتدار فى كل شىء، والتوقف ينافى الكمال إلا من حيث ماثبتت الحكمة. والهداية إن أرجعتها إلى تخصيص الإرادة، فهى لهذا الاعتبار ثابتة فى القدم، وان أرجعتها إلى النور المنبسط فى القلب الذى تتجلى فيه حقائق الأشياء بزوال الموانع والأغيار وانكشاف الحجب والأستار، فهى بهذا الاعتبار ثابتة فيما لانراه. وهذا النور هو شرط الهداية بدليل قوله تعالى وعز وجل : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾(٤). وقوله سبحانه : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾(٥) أى من لم يجعل الله له نوراً فى قلبه فما له من نور من دعائك يامحمد.

ولايعنى بشرطية هذا النور أنه تتوقف عليه القدرة، فإن التوقف فى القدرة عجز وهو ينافى الكمال الذى ثبت له سبحانه، ولكنه شرط اقتضته الحكمة. فالذى جاء به رسول الله ﷺ نور، ولكن لابد من نور خاص يكون فى القلوب من خفايا ودائع الغيوب، فإذا تطابق النوران حصل الإدراك كما أن البصير له نور خاص هو متصف به، وللشمس نور فياض، فإذا تطابق النوران حصل الإدراك، فإن كان بصيرا وفقد نور الشمس فقدت الرؤية لفقدان النور الأعم، وان كانت الشمس طالعة وهو ليس بصيرا فقدت الرؤية لفقدان النور الأخص.

وقد سبق أن الإيمان هو التصديق، فاعلم أن التصديق تارة يكون مع

---

(١) القصص : ٥٦.
(٢) الأنبياء : ١٠٧.
(٣) الرعد : ٧.
(٤) الأنعام : ١٢٥.
(٥) النور : ٤٠.

شهود المصدق به، وتارة يكون مع الغيبة عنه، وهذا نظر كلى.

والطرق التى استند إليها إيمان المؤمنين على ثلاثة أنحاء.

أولها : طريق أهل العموم وهو التقليد، والتقليد هنا العقد الجازم المطابق من غير دليل.

والطريق الثانى : قيام الدليل والبرهان، وهذا طريق أرباب الأفكار والنظر.

والفرقة الثالثة : هم الذين استند إيمانهم إلى شهود وعيان؛ وهم الراسخون فى العلم، وهذا طريق أهل الله، ولذلك قال شيخ شيخنا أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : «إنا لننظر إلي الله ببصر الإيمان والإيقان، فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان. وإنا لانرى أحدا من الخلق بل فى الوجود أحد سوى الملك الحق، فإن كان ولابد فكالهباء فى الهوى إن فتشته فلن تجد شيئاً»

وأرباب الدليل والبرهان عند أهل الشهود والعيان كأرباب التقليد عند أهل الدليل والبرهان. وإنما كان كذلك لأن أرباب الشهود والعيان يقولون لأرباب الدليل :

كيف تستدلون عليه بما مفتقر فى وجوده إليه ؟<br>
متى غاب حتى يحتاج إلى دليل يدل عليه؟<br>
ومتى فقد حتى تكون الآثار هى التى توصل إليه؟<br>
أيكون لغيره من الظهور ماليس له حتى يكون هو المظهر له؟<br>
أليس سبحانه أسبق الموجودين، فكماله أسبق الموجودين كذلك؟<br>
ينبغى أن يكون هو المشهود الأول.

ثم يقولون :

إنه أقرب إليك أم الدليل منك هو إليك أقرب؟ فكيف توصل ماهو

عنك أبعد إلى ماهو منك أقرب؟ أليس من شرط الدليل أن يكون من المدلول أجلى، ولذلك كان يوصل إليه؟ ومن أجل ظهوره وخفى المدلول كان أولى بأن يدل عليه. وأى شيء أظهر منه سبحانه وهو الظاهر فى المظاهر، بل هو الظاهر قبل وجود المظاهر، بل الظاهر الذى خفيت لأجل ظهوره المظاهر.

ثم يقولون :

أليس وجودك غنيا عن إقامة دليل يدل عليه أو أثر يوصل إليه؟ فيقال: بلى!! - فيقال: أفيكون وجودك غنيا عن الدليل ولايكون وجوده غنيا عن الدليل؟ إلى غير ذلك.

ثم اعلم أن الإيمان له أثر ينشأ عنه، وهى الثمرة المنتجة من تعظيم من آمنت به، والحياء من نظره والمسارعة لأمره، والانقياد لحكمه.

ثم اعلم أنه واجب عليك أن تؤمن به سبحانه، وبما يجب له من كمال صفاته.

وصفاته الحسنى هى سميات أسمائه الحسنى. فواجب عليك أن تؤمن بكمال ذاته وكمال صفاته، وكمال أسمائه وكمال أفعاله. فإذا آمنت به وبأسمائه، كان كل اسم من أسمائه يقرر الإيمان منك به، يقتضى أثرا خاصا لايقتضيه الاسم الآخر. ولذلك كانا اسمين.

فإذا آمنت به (مجيبا)[1] فحرام عليك أن (تدعو)[2] غيره. وإذا آمنت به منتقما فواجب عليك أن تكون لمعصيته مجانبا.

ولأجل أن الإيمان له أثر فى القلب ينشأ عنه، من زهد فى الدنيا،

---

(١)، (٢) هاتان الكلمتان غير واضحتين قراءة فى الأصل المخطوط، ولكن يغلب أنهما كما كتبناهما.

وإقبال على الآخرة، وحياء من المولى، ومراقبة له في السر والنجوى، قال رسول الله ﷺ لحارثة. «كيف أصبحت يا حارثة؟». فقال: «أصبحت مؤمنا حقا».

فقال رسول الله ﷺ: «لكل حق حقيقة. فما حقيقة إيمانك؟».

فقال: «عزفت نفسي عن الدنيا، فاستوى عندي ذهبها ومدرها. وكأني أنظر إلى أهل الجنة في الجنة يتنعمون، وإلى أهل النار في النار يعذبون. وكأني أرى عرش ربي بارزا. فمن أجل ذلك أسهرت ليلي، وأظمأت نهاري».

فقال رسول الله ﷺ: «يا حارثة عرفت فالزم»[١].

وفي بعض طرقه «عبد نور الله قلبه بنور الإيمان».

فطالبه الرسول صلوات الله عليه وسلامه بالبرهان الدال على حقيقة إيمانه، لما ادعى ذلك حارثة، يعلمك أن ليس كل صاحب دعوى هي مسلمة له، ولكن لابد أن يقوم عليه من شواهدها ظاهرا، مايدل على صدقه فيها باطنا. غير أنه إذا لم تظهر الشواهد لنا لم نقطع بكذبه لجواز أن يكون محقًّا في نفس الأمر، ولايظهر الله عليه شاهدا من حاله، إذ يكون مراد الله فيه اختفاءه لا ظهوره وتكون الشواهد ظاهرة عليه، لكن ليس لنا أهلية الاستعداد للنظر لها.

وكان شيخنا أبو العباس المرسي رضي عنه يقول: «إنما قال الرسول صلوات الله عليه وسلامه «لكل حق حقيقة. فما حقيقة إيمانك» فطالبه ببرهان يدل على صدقه في حاله، يبين لك الفرق بين مقامات الصحابة، ففرق بين مقام الصديق ومقام حارثة فإن الرسول صلوات الله عليه

---

(١) حارثة هو الحارث بن مالك - والحديث رواه البزار بسند ضعيف عن أنس، والطبراني في الكبير وسنده ضعيف أيضاً.

وسلامه قال لأبى بكر : «يا أبا بكر ، أتعرف يوم يوم؟» . فقال أبو بكر : «نعم والذى بعثك بالحق يارسول الله سألتنى عن يوم المقادير ، ولقد سمعتك تقول حينئذ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ»(١) . وماطالبه رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ببرهان يدل على صدقه فى دعواه ، فإن عظيم منزلته يأبى ذلك(٢) . وانظر رحمك الله إلى فقه حارثة وفهمه ، كيف ذكر الزهد فى الدنيا وهو الأمر الملتزم بحقيقة الإيمان ، والتحقيق بحقائق الإيقان ، فلذلك قال : «عزفت نفسى عن الدنيا» فالزهد إنما هو ثمرة الإيمان ، أو من آمن بالله حق الإيمان ، وأيقن بما أخبر به حق الإيقان ، زهد فى الدنيا ، إذ اليقين مقتضاه الكشف ، إذ محال أن يكشف لهم عن تلك الدار ثم يقبل بهمته على هذه الدار . ثم ذكر السبب المقتضى بحقيقة الإيمان عنده وهو مطالعته فقال : «كأنى انظر إلى أهل الجنة فى الجنة يتنعمون وأهل النار فى النار يعذبون» . إلى آخره إشارة إلى أن مطالعته أوجبت إيمانه ، وإيمانه أوجب زهده . وكان شيخنا رضى الله عنه يقول : «ليس الشأن من وصل بطاعة الله إلى كرامة الله ، إنما الشأن من وصل بكرامة الله إلى طاعة الله» . كحارثة أشهده الله العوالم الغيبية ، ثم كانت طاعته ناشئة عن مطالعته . فلذلك قال : «من أجل ذلك أظمأت نهارى وأسهرت ليلى» . وقد جمع حارثة رضى الله عنه بين السبب الذى كان عنه الإيمان ، وبين الثمرة التى نشأت عن الإيمان . والسبب الذى كان عنه الإيمان مطالعته ، والثمرة التى نشأت عن الإيمان طاعته . فكانت مشاهدة حارثة سابقة لمجاهدته ، وهو غير من تكون مجاهداته سابقة لمشاهدته ، والأولى حال المصطفين المجذوبين ، والثانى حال أهل الإرادة السالكين .

---

(١) يوم المقادير أشار إليه الله تعالى بقوله : «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين» الأعراف : ١٧٢ .

(٢) أرى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يسأله عن البرهان ، لأنه قدم له البرهان بقوله «سمعتك تقول حينئذ . . . الخ» .

ثم انظر إلى قول حارثة : «كأني انظر» . ولم يقل «نظرت» ! !

وكان شيخنا رضى الله عنه يقول : «الأولياء يطالعون المثل ، والأنبياء صلوات الله عليهم يطالعون حقائق المرئيات ، فلذلك قال : «كأنى» . وقال رسول الله ﷺ : «رأيت الجنة»[١] ولم يقل «كأنى» .

* * *

فإن قلت قد فسرت الإيمان فما الآيات التى هى متعلقة بالإيمان . فاعلم أن الآيات هى العلامات الدالة عليه ، فكل مادل عليه فهو من آياته . . وكل شيء دال عليه . فكل شيء من آياته . فلذلك قال بعضهم :

«وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحد»

ولكن قد تكون آية أجلى من آية وإن اشتركتا فى مطلق الدلالة عليه . والدليل على ذلك قوله عز وجل : ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾[٢] دل بمفهومه بل بما اقتضته صيغة المفاضلة أن ثمة آية صغرى هذه كبراها ، وإن كان لو لم يخلق البارى سبحانه إلا الجوهر الفرد لدل على ألوهيته ووحدانيته ، وغير ذلك من صفاته .

* * *

ثم قال سبحانه : (كتب ربكم على نفسه الرحمة)
اعلم أن (كتب) يقال بالاشتراك على معان . . منها :

كتب بمعنى فرض . قال الله عز وجل : (﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[٣] .
ومنها كتب بمعنى خلق ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾[٤] .

---

(١) جاء هذا فى حديث المعراج.
(٢) النازعات : ٢٠ .
(٣) البقرة : ١٨٣ .
(٤) المجادلة : ٢٢ .

ومنها كتب بمعنى قضى. ومنه قوله سبحانه: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾(١) أى قضى الله لأغلبن. ومنه قوله سبحانه: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾.

ومنها كتب بمعنى الكتابة على بابها: ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾(٢) وقد يكون منه قوله تعالى سبحانه: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ لما جاء فى الحديث الصحيح عنه صلوات الله عليه وسلامه: «إن الله لما قضى الخلق كتب كتابا، فهو عنده فوق عرشه (إن رحمتى سبقت غضبى) ولولا ذلك لهلكتم»(٣) - وفى رواية رحمته تغلب.

وقد تكون حقيقة كتب بمعنى الكتابة، ومجازا فى الباقى، لأنه المتبادر إلى الفهم، والتبادر دليل الحقيقة. فكأنه سبحانه يقول لك: (ياعبدى علمت اضطرابك، وغلبت شهود مساوئك عليك، فوعدتك رحمتى، وما اكتفيت لك بذلك حتى كتبت لك على نفسى كتابا، لئلا يستولى عليك اليأس من فضلى، ولئلا يغلب عليك مطالعة عدلى).

فإن قلت: فما اختصاص هذا الاسم هنا، فقال (كتب ربكم) ولم يقل إلهكم ولا خالقكم؟ فاعلم أن الرب هو المربى بالإحسان، والمتودد لك بالامتنان، فكأنه يقول الذى رباكم بالإحسان أولا، هو الذى كتب على نفسه الرحمة آخرا، ليضم الإحسان إلى شكله، وليشفع الامتنان بمثله.

فإن قلت: فما هى الرحمة المكتوبة؟ فاعلم أن رحمته كما قال: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾(٤) فلا يحيط بها شىء، بل هى المحيطة

---

(١) المجادلة: ٢١.
(٢) البقرة: ٢٨٢.
(٣) وروى الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه: إن رحمتى تغلب غضبى».
(٤) الأعراف: ١٥٦.

بكل شيء. وإليه الإشارة في قوله سبحانه حاكيا على الملائكة صلوات الله عليهم: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾(١). فكما عم علمه فلم يخرج شيء عن علمه، كذلك عمت رحمته، فلم يخرج شيء عن رحمته. وإليه يشير قوله سبحانه : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾(٢). فاستوى برحمانيته على عرشه الذى هو أعظم مخلوقاته، واندرجت العوالم فى العرش المندرج فى رحمته، إشارة إلى عموم رحمته ولكن الرحمة العامة ليست المقصودة هنا، لأنه خصصها ها هنا بالمؤمنين. وتلك رحمة شملت الكافرين والمؤمنين، وهذه الرحمة التى قال فيها :

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٣).

فلما جاءوا إلى الرسول متنصلين، ومن الخطايا معتذرين، أمره الله بأن يخبرهم بأن الله قد كتب الرحمة لهم، فأوجبها على نفسه إيجاب فضل وامتنان وتفضل وإحسان، إذ هو سبحانه لايجب عليه شيء، إذ لو وجب عليه شيء للزمه ماوجب عليه، ولكان فى ذلك حكما عليه.

* * *

ثم قال سبحانه : ﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

اعلم أن الله(٤) أرخى على المؤمنين ذيل الإحسان، وبسط لهم بساط المؤانسة والامتنان، ومهد لهم مهاد الرحمة، لما جاءوا مما سبق منهم متنصلين، ومما تقدم منهم معتذرين، أراد سبحانه(٥) بصير ببصر، متكلم

---

(١) غافر : ٧ . (٢) طه : ٥ . (٣) الأعراف : ٥٦ .

(٤) فى الأصل «اعلم ان الله لما» وقد حذفنا «لما» لأننا نراها زائدة فى الكلام.

(٥) كل ماجاء فى الأصل من بعد كلمة (سبحانه) من أول «بصير ببصر» إلى «وبالله التوفيق» وارد فى أول الرسالة القشيرية فى فصل «وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم فى مسائل التوحيد» إذ جاء فى هذا الفصل. =

بكلام، حي بحياة، باق ببقاء.

وله يدان هما صفتان، يخلق بهما مايشاء سبحانه على التخصيص، وله الوجه[١]، وصفات ذاته[٢]، مختصة بذاته، لايقال هي هو، ولا هي أغيار له، بل هي صفات له أزلية، ونعوت سرمدية، وإنه أحدى الذات، ليس يشبه شيئا من المصنوعات، ولايشبهه شيء من المخلوقات. ليس بجسم ولا جوهر، ولاصفاته أعراض.

لايتصور في الأوهام.. ولايتقدر في العقول، ولا له جهة ولا مكان، ولايجرى عليه وقت وزمان.. ولايجوز في وصفه زيادة ولا نقصان.. ولايخصه هيئة وقد[٣]، ولايقطعه[٤] نهاية وحد، ولايحله حادث، ولايحمله على الفعل باعث[٥]، ولايجوز عليه لون ولا كون، ولاينصره مدد ولا عون، ولايخرج عن قدرته مقدور، ولاينفك عن حكمه مفطور[٦]. ولايعزب[٧] عن علمه معلوم، ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم.. لايقال له أين ولاحيث ولاكيف، ولايستفتح له وجود

---

= وقال شيوخ هذه الطريقة مايدل عليه متفرقات كلامهم؛ ومجموعاتها ومصنفاتهم في التوحيد: إن الحق سبحانه وتعالى: موجود، قديم، واحد، حكيم، قادر، عليم، قاهر، رحيم، مريد، سميع، مجيد، رفيع، متكلم، بصير، قدير، حي، باق، صمد.
وأنه عالم بعلم، قادر بقدرة، مريد بإرادة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام.. الخ
راجع الرسالة القشيرية تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ص ٤٥ – وراجع ماكتبناه في تقديم هذا البحث.

(١) الوجه: الذات.

(٢) كالعلم والقدرة مختصة بذاته لاتتجاوز إلى غيره، لأنها قديمة وغيره حادث، والقديم لا يتعلق بالحادث.

(٣) هيئة وقد: كيفية ومقدار.

(٤) يقطعه: يعدمه.

(٥) لأنه منزه عن الغرض والعلة، وإن كانت أفعاله لاتخلو من حكمة.

(٦) مفطور: مخلوق. لأن الله فاطر الخلق، أى خالق الخلق.

(٧) يعزب: يغيب.

فيقال متى كان، ولاينتهى له بقاء فيقال له استوفى فى الأجل والزمان، ولايقال لِمَ فعل، إذ لا علة لأفعاله[١].. ولايقال ماهو إذ لاجنس له فيميز بأمارة عن أشكاله[٢].. يُرى لا عن مقابلة، ويرى غيره لا عن مماقلة[٣]... ويصنع لا بمباشرة ومزاولة.

له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، يفعل مايريد، ويذل لحكمه العبيد، لايجرى فى سلطانه إلا مايشاء، ولايحصل فى ملكه غير ماسبق به القضاء، فاعلم أنه يكون من الحادثات ما أراد أن يكون، واعلم أنه لايكون، مما جاز أن يكون ما أراد أن لايكون..

خالق أكساب العباد، خيرها وشرها.. ومبدع مافى العالم من الأعيان والآثار، قلها وكثرها.. ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه... ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء عليهم السلام، بما لاسبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه، ومؤيد نبينا محمدا ﷺ بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة، بما أزاح به العذر، وأوضح به اليقين والنكر؛ وحافظ بيضة[٤] الإسلام بعد وفاته ﷺ بخلفائه، ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه.. عصم الأمة الحنيفية عن الاجتماع على الضلالة، وحسم مادة[٥] الباطل بما نصب من الدلالة، وأنجز ماوعد من نصرة الدين بقوله تعالى: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[٦]

فهذه تشير إلى أصول المشايخ على وجه الإيجاز، وبالله التوفيق.

تم

●●●●

---

(١) لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. (٢) أشكاله : أمثاله .

(٣) من مقلة العين .. والمقصود تنزيهه سبحانه عن التشبيه.

(٤) عزه وجماعته. (٥) أصل ومنشأ. (٦) آية ٣٣ من سورة التوبة.

# فهرست
## بموضوعات الكتاب

| الصفحة | الموضـــــــوع |
| --- | --- |

| الصفحة | الموضـــــوع |
| --- | --- |

تمت الفهرسة